

العدد العاشر

روايات مصرية للجيب

الفارس

وقصص أخرى

كوكتيل
يوم

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

النسبة المئوية للخدمة

كوكبية

في هذا الكتاب

صفحة

- السر (قصة قصيرة) ٥

العقرب

- سلسلة جديدة (قصة كاملة)

- مملكة الشر ١١

- حيث يبدأ العدم (دراسة) ٩٧

قصة العدد :

- الفساريس ١٠٥

- أماني (خواطر) ١٦٣

- الفشنران (قصة كاملة) ١٦٥

- عزيزي القارئ ٢٠٦



(قصة قصيرة)

السر

« أتطلبني حقا بنصيبك؟! .. »

انكمش الشيخ (احمد) في مقعده ، وهو يتطلع إلى ابن شقيقه (طاهر) ، الذي نطق العبارة السابقة في شراسة مخيفة ، تقافز لها الشرر من عينيه ، وتشكلت لها ملامحه في هيئة شيطانية رهيبة ، قبل أن يستطرد في غضب :

— اي نصيب هذا ؟

ازدرد الشيخ (احمد) لعابه في صعوبة ، وهو يتطلع إلى (طاهر) ، الذي بدا له عملاقا ، بقامته الرياضية المشوقة ، وصدره العريض ، وعضلاته المفتولة ، وتمتم الشيخ في خفوت :

• مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب

إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

– نصيبى فى الأرض يا ولدى .. أنت تعلم اننى ووالدك (رحمه الله) ، كنا شريكين فى قطعة الأرض ، ولكنها كانت مسجلة باسم والدك وحده ، و ...

قاطعه (طاهر) فى صوت هادر :

– أنت قلتها .. كانت مسجلة باسم والدى وحده ، وهذا يعنى انه لا نصيب لك فيها .. ولا مترا واحدا .. القانون هو القانون .

ازدرد الشيخ (احمد) لعابه مرة اخرى ، وقال :

– لست اتحدث عن القانون يا ولدى ، ولكن عن العدالة والحق .. لقد سمعت والدك بنفسه يتحدث عن مشاركتى له فى قطعة الأرض ، ويشير إلى نصيبى فيها ، قبيل وفاته بأيام ، و ...

قاطعه (طاهر) ثانية :

– لم اسمع شيئا .

شعر الشيخ (احمد) باليأس ، وهو ينظر إلى ابن شقيقه الجاحد ، وراح يقارن – دون وعى – ما بين ضخامة (طاهر) وضالته هو ، قبل أن يقول فى لهجة اقرب إلى الضراعة :

– لا تجعل الطمع يعمى عينيك عن الحق .. أنت تعلم اننى امتلك ربيع قطعة الأرض ، فلماذا ترفض منحى ما املك ؟

تراجع (طاهر) فى مقعده ، وقال فى سخرية :

– اى حق هذا يا عماء ؟ .. هل تمتلك عقدا مكتوبا ؟ .. او حتى وثيقة قانونية واحدة ؟ .

تهند الشيخ (احمد) ، وقال :

– فى جيلنا كان الأمر يختلف كثيرا يا ولدى ، ولم يكن الشقيقان يحتاجان إلى عقود مكتوبة ، لضمان حق كل منهما لدى الآخر .

اطلق (طاهر) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

– فليدفع جيلكم ثمن هذا إذن .

شعر الشيخ (احمد) بقلبه يمتلىء سخطا ، فقال فى توتر :

– لا تضطرنى لفعل ما اكره يا ولدى .

ابتسم (طاهر) ساخرا ، وقال :

– وماذا يمكنك أن تفعل ؟

قال الشيخ (احمد) فى حدة :

– من يدري ! .. يسمع الله (سبحانه وتعالى) سره ، فى

اضعف مخلوقاته .

تفهقه (طاهر) ضاحكا ، فى تهكم شديد ، قبل أن يشير إلى

عمه فى ازدراء ، قائلا فى لهجة لم تتلاش السخرية من

حروفها بعد :

– اى سر يا رجل ؟ .. الم تلق نظرة واحدة على وجهك

فى المرآة ؟ .. الم تدرك ابدا اى مخلوق تافه انت ؟ .. الم

تنسبه إلى انك قد تجاوزت الثمانين من عمرك ؟

هتف الشيخ فى غضب :

– اسمع يا (طاهر) .. لقد تجاوزت حدودك كثيرا ..

سأرفع الأمر إلى القضاء ، ولدى شهود ، سيؤكدون أحقيتى

فى قطعة الأرض .

اشتعلت نيران الغضب في عيني (طاهر) ، وهو يقول :
- شهود ؟

ثم مال نحو عمه ، مستطردا في شراسة مخيفة :
- اتصور انك ستخيفنى بهذا ؟

انكمش الشيخ (أحمد) أكثر وأكثر في مقعده ، وراح جسده يرتجف ، امام نظرة (طاهر) الرهيبة ، في حين استطرد هذا الأخير في عدوانية واضحة :

- يبدو انك لا تدرك ما يمكننى ان افعله بك .. هل ترى هذه الحشرة ؟

قالها وهو يشير إلى نملة صغيرة ، تسللت إلى سطح المائدة ، وراحت تحت الخطأ نحو ذرة من السكر ، سقطت عفوا ، واطاف في غضب :

- ساسحقك مثلها .

وسحق النملة بطرف سبابته في عنف ..

هز الطبيب رأسه في دهشة تمتزج بالرهبة ، وهو يغمغم :
- لم أر مثل هذا أبدا .. لقد قرأت يوما عن هذا الأمر ، ولكننى لم أشاهده طوال حياتى المهنية قط .

استمع إليه ضابط الشرطة في صمت ، ثم رفع عينيه إلى الشيخ (أحمد) ، وسأله :

- ماذا حدث بالضبط أيها الشيخ ؟

هز الشيخ (أحمد) رأسه في حيرة ، وأجاب :

- لست أدري أيها الضابط .. لقد سحق النملة بطرف سبابته ، ثم اطلق شهقة ، واحتبست أنفاسه في حلقه . وخیل إلى أن وجهه ينتفخ ويحتقن ، ورفع يده نحوى . وكأنه يستنجد بى ، إلا أنه لم يلبث أن سقط عند قدمى جثة هامدة .. لست أدري حقا ماذا حدث ؟

تطلع الضابط إلى جثة (طاهر) في حيرة ، ثم سأل الطبيب :

- أهناك تفسير علمى لهذا ؟

أوما الطبيب برأسه إيجابا ، وقال :

- نعم .. إنها حساسية فائقة لحمض النمليك ، الذى تفرزه النملة ، عند التعرض للخطر ، أو عند سحقها .. إنه أمر يشبه الحساسية الفائقة لعقار البنسلين ، ولكنه شديد الندرة ، بحيث تجده لدى واحد من كل تسعة ملايين من البشر .. لقد سحق النملة ، فقتله الحمض الذى أفرزته ، بمجرد أن مس طرف سبابته .

هز الضابط رأسه في رهبة ، وعاد يتطلع إلى جثة (طاهر) ، قبل أن يقول فى أسف :

- يا لحكمة الله (سبحانه وتعالى) !! .. كل هذا العنقوان والشباب والقوة ، وقتلته نملة واحدة !! .. سبحان الله !!



روايات مصرية للجيب

مجلد
العقرب



قصة كاملة

مملكة الشر

التاسعة
المؤسسة العربية الحديثة
للتطبع والنشر والتوزيع
بجدة - الرياض - القاهرة - الدار البيضاء - تونس - ليبيا

السر (قصة قصيرة)

١٠

خيل إليه ان الشيخ (احمد) يتسم ، وهو يقول :

- يضع الله (سبحانه وتعالى) سره في اضعف مخلوقاته
يا ولدي .

واتسعت ابتسامته قليلا ، وهو يستطرد :

- اليس كذلك ؟

١ - المتهم ..

لم تستطع (غادة) منع نفسها من الابتسام ، عندما ساهدت (نديم فوزي) ، وهو يخطو داخل قاعة المحكمة ، مرتديا روب المحاماة ، ووجهه يحمل كل علامات الرصانة والوقار ، فقالت ضاحكة :

- تصور انها اول مرة اراك فيها في هذا الزى !
اجابها في هدوء :

- هذا لانك نادرا ما تاتين الى هنا ، على الرغم من ترخيص مزاوله مهنة المحاماة الذى تحمليه .

ضحكت مرة اخرى ، وقالت :

- وما ذنبى انا ؟ انك تطالبنى دائما بأعمال اخرى ، لا تمت للمحاماة بصلة .

ثم مالت على اذنه ، مستطرده في مرح :

- بل الى العقارب .

لم يتسم لدعابتها ، وهو يقول :

- لا بأس .. هذا وذاك يسعيان الى تحقيق العدالة .

ادركت ان محاولتها دفعة الى الابتسام ستبوء بالفشل ، فتنهدت وقالت :

- حسنا يا (نديم) - أخبرنى : ما نوع مرافعتك اليوم ؟

هز كتفيه ، وقال :

- إنها قضية تموينية كبيرة ، و ...

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص ..

عندما تحيط العدالة عينها بعصابة سميكة ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون ..

عندئذ يهب هو للقتال ، حاملا ذلك الاسم ، الذى يثير

الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين ..

اسم (العقرب) .

د. نبيل فاروق

حدقت في وجهه بدهشة ، على نحو دفعه إلى بتر عبارته ، وهو يقول :

- ماذا في هذا ؟

فوجيء بها تنفجر ضاحكة ، وهي تقول :

- قضية تموين؟! .. هل ستترافع في قضية تموين ؟ عقد حاجبيه قائلا :

- ولم لا؟! .. انسيبت اننى محام عام ، واننى ..؟ قاطعته مستنكرة :

- ولكن هذا لا يناسبك .. لا يمكننى ان اتصورك في هذا الموقف .

قال في جدة :

- لماذا ؟

اتاه الجواب من خلفه ، بصوت خشن ، يقول :

- لأن القضايا العادية لا تليق بـ (العقرب) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי (غادة) ، وهي تتطلع إلى صاحب العبارة ، في حين التفت إليه (نديم) في هدوء ، وقال وكأنه لم يسمع كلمة واحدة :

- صباح الخير يا (مجدى) .. كيف حالك؟! .. اى رباح طيبة القت بك هنا ؟

نظر إليه العقيد (مجدى) في تحد ، وهو يقول :

- يخيل إلى انك تحاول تجاهل عبارتى تماما ايها (العقرب) .

ربت (نديم) على كتفه ، وهو يقول :

- بل أنت الذى يصر على مخاطبتى بهذا اللقب .

عقد (مجدى) حاجبيه في توتر ، وهو يقول :

- اسمع يا (نديم) .. إنك تتصور نفسك ذكيا ، ولكننى

ساوقع بك يوما ما ، وسأثبت انك (العقرب) ، الذى ..

قاطعته (غادة) هذه المرة ، وهي تقول في سخرية :

- عجباً! .. الا يبدو هذا الحديث مكرراً؟! .. يلوح لى

اننى قد سمعته في برنامج قديم .

رفع (مجدى) عينيه إليها في حركة حادة ، وازداد انعقاد

حاجبيه ، وهو يقول :

- اسمعى ايتها ال ..

اعترض (نديم) استمرار العبارة ، وهو يقول بفتة :

- إنك لم تخبرنى لماذا أنت هنا يا (مجدى) .

بدا لحظة أن هذه المقاطعة قد أحنقت (مجدى) وانه

سينفجر في وجه (نديم) ، إلا أن كل هذا لم يلبث أن تلاشى

بفتة ، وقال (مجدى) :

- إننى شاهد رئيسى ، في قضية مخدرات كبيرة .

قال (نديم) في رصانة :

- اتقصد قضية (إبراهيم علوان) ؟

لوح (مجدى) بسبابته ، قائلا :

- هو ما تقول :

ثم اندفع بفتة مبتعدا ، وهو يستطرد :

- إلى اللقاء .

ابتنسمت (غادة) ، وهى تراقب ابتعاده ، وقالت :
- ياله من لحوح !

غغم (نديم) :

- إنه يؤدي عمله .

التفتت إليه ، تسأله في فضول :

- من (إبراهيم علوان) هذا ؟ ..

اجابها (نديم) ، وهو يسير إلى جوارها ، نحو قاعة
الجلسات :

- إنه عقيد في إدارة مكافحة المخدرات ، تم ضبطه في
كمين ، وهو يحمل في حقيبة سيارته كيلوجرامين من
الهيروين النقي ، المسروق من إدارة مكافحة المخدرات نفسها ،
بعد ضبطية قضائية كبيرة .

توقفت تهتف مستنكرة :

- يا إلهي ! .. اتعنى ان العقيد (إبراهيم علوان) هذا
كان يلقي القبض على مروجى المخدرات ، ويصادر بضاعتهم ،
ثم يسرقها لنفسه ؟

او ما براسه إيجابا ، وهو يقول :

- هذا صحيح ، طبقا لأوراق القضية .

عقدت حاجبها لحظات مفكرة ، ثم قالت :

- هناك امر لا يروق لى في هذه القضية .

سألها في اهتمام :

- ما هو ؟

اجابته في حماس :

- لماذا يسرق العقيد (إبراهيم) الهيروين ، بعد تسليمه
إلى إدارة مكافحة المخدرات ، وبعد ان يتم وزنه وتحريره ؟ ..
ليس من الأسهل والأقل خطورة ان يسرقه عند ضبطه
مباشرة ؟

بدا له سؤالها منطقيا للغاية ، واثار في اعماقه حماسا
يمتزج بشيء من القلق ، جعله يقول :

- نعم .. لماذا ؟

ثم اعتدل مستطردا برصانته المعهودة :

- من حسن حظنا ان قضية (إبراهيم علوان) ستنظر
في نفس القاعة ، التى ستشهد قضيتنا ، وهذا يجعل من
السهل علينا ان نتابعها ايضا .

سألته في شغف :

- هل اثار الامر اهتمام (نديم فوزى) ، ام (العقرب) ؟

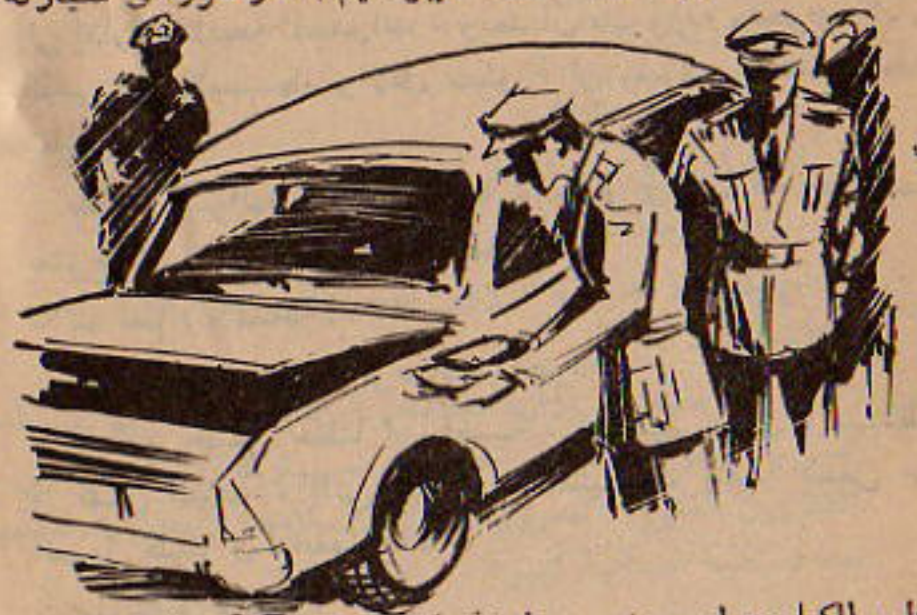
خيل إليها ان عينيه قد ابتسمتا ، وهو يقول :

- من يدري يا عزيزتى ؟ .. من يدري ؟

واتجه إلى قاعة الجلسات ..

كانت محاكمة (إبراهيم علوان) مثيرة بحق ، فلقد لخص
ركيل النيابة القضية ، قائلا : إن الشرطة قد تلقت بلاغا من
مجهول ، يقول فيه : إن العقيد (إبراهيم علوان) يسرق
الهيروين من ضبطيات الإدارة ، وإنه يحمل في حقيبة سيارته

الآن كيلوجرامين منه ، وهنا أسرع رجال إدارة مكافحة المخدرات يعدون كميناً للعقيد (إبراهيم) ، وعشروا في سيارته



على الكيلوجرامين ، وبمعاودة فحص ووزن كمية الهيروين المضبوطة في الإدارة ، وجد أنها تنقص هذين الكيلوجرامين ، وبمراجعة أوراق الأمن ، وأقوال العاملين في الإدارة ، ثبت أن العقيد (إبراهيم) هو الشخص الوحيد ، الذي يمكنه مغادرة حجرة الضبطيات دون تفتيش ، مما يجعله الوحيد القادر على الخروج بالهيروين المسروق ، ومن هنا تم تحويل الأمر إلى القضاء ..

وحاول محامى العقيد (إبراهيم) الدفاع عن موكله ، بسرد تاريخه المشرف في إدارة مكافحة المخدرات ، وبسؤال عدد من زملائه ، الذين اجتمعوا على كونه رجلاً شريفاً ، وضابطاً عظيماً

طيلة عمله ، وإن لم يجزم أحدهم باستحالة قيامه بسرقة الهيروين ؛ نظراً لأن الأدلة المادية كلها تدينه ..

وكانت شهادة (مجدى) إحدى هذه الشهادات ، ولقد دافع عن زميله العقيد (إبراهيم) في حماس ، ولكن هذه الشهادات لم ترق أبداً إلى قوة أدلة الإدانة ، حتى ولو أضفنا إليها إصرار المتهم الشديد على براءته من هذه التهمة المخزية ..

ومالت (غادة) على أذن (نديم) ، تسأله :
- ما رأيك ؟

صمت لحظات ، قبل أن يجيبها في هدوء :

- لا أحد يمكنه الجزم بحقيقة الأمر ، فقد يكون هذا الرجل بريئاً ، أو أن العكس هو الصحيح ، فشهادة زملائه على حسن سلوكه قد لا تعنى براءته ، بل ذكائه في إخفاء حقيقة أمره .. ولقد شاهدنا مثل هذه الصورة كثيراً .

قالت في حزم :

- ولكنه برىء .

سألها في هدوء :

- كيف يمكنك الجزم بهذا ؟

ترددت لحظة ، ثم قالت في عناد :

- غريزة الأثني .

لم تكذب تنطقها حتى حمدت الله (سبحانه وتعالى) في أعماقها ؛ لأن (نديم) لا يميل إلى السخرية ، وإلا لانفجر

ضاحكا ، واراها أن استقبل قولها بجدية ، وهز رأسه ،
قائلا :

— معذرة يا عزيزتى ، ولكن لا يمكنى الاعتماد على هذا
وحده .. احتاج إلى دليل واحد .
همست فى أذنه :

— وهل يحتاج (العقرب) إلى الأدلة ، للدفاع عن العدالة ؟
أجابها فى حزم :

— إنه أيضا لا يندفع لاقتحام قضية ما ، ما لم يطمئن إلى
سلامة موقفه .

انتهى القاضى — فى هذه اللحظة — من مناقشة مستشاريه ،
فاعتدل فى مقعده ، وقال فى مهابة ووقار :

— تؤجل الجلسة إلى الثانى من الشهر القادم ؛ للنطق
بالحكم .

لم يكد القاضى ينطقها ، حتى أدار (نديم) عينيه إلى حيث
العقيد (إبراهيم) ، وكأنما يرغب فى دراسة رد فعل الرجل ،
وبدا له (إبراهيم) منهارا ، مفعما بالمرارة ، يتطلع إلى الجميع
فى أسى ، وكأنما يبحث بينهم عن من يتشبث به ..

وفجأة اتسمت عينا (إبراهيم) ، وتآلقا ببريق عجيب ،
وكانما أضىء عقله بفتنة ، وهتف :

— اقبضوا على هذا الرجل .

قالها وأشار بسبابته إلى باب القاعة ، حيث بدأ بعض
الحاضرين فى الانصراف ، فأدار (نديم) و (غادة) عيونهما



سرعة إلى حيث يشير ، فى حين استطرد (إبراهيم) فى
نورة مباغته :

— إنه المجرم الحقيقى .. القوا القبض عليه .. ألقوا
القبض عليه .

تركزت عينا (نديم) على وجه الشاب النحيل ، الذى
أشار إليه (إبراهيم) ، وخيل إليه أنه قد عثر على الدليل
الذى ينشده ، بين ملامح هذا الشاب ..

وكان هذا الدليل مجرد ابتسامة ..

ابتسامة ساخرة .

٢ - وجه العدالة ..

تطلع العقيد (إبراهيم) ، في ياس وحيرة ، إلى وجهه (نديم فوزى) ، داخل حجرة مدير السجن ، وقال :
 - أنت محام ؟! .. ولكن لماذا ؟ .. هناك محام يتولى مهمة الدفاع عنى بالفعل ، ولست أدري لماذا تجشمت كل هذا العناء ، لتستخرج تصریحا بمقابلتى ، وانت تعلم هذا !
 جلس (نديم) أمامه ، وقال في بساطة :
 - لقد حضرت آخر جلسات قضيتك ، وقررت الدفاع عنك ..

قال (إبراهيم) في مرارة :

- اشكر لك هذا ، ولكننى لا استطيع الاستعانة باثنين من المحامين .. اعنى ان قدراتى المالية لا تسمح بذلك ..
 انت تعلم ضعف الراتب .. اليس كذلك ؟

أوما (نديم) براسه متفهما ، وقال :

- سأعتبر هذا دليلا آخر على براءتك يا سيدى .

ثم اضاف وهو يميل نحوه براسه :

- الواقع اننى لن اتقاضى قرشا واحدا عن الدفاع عنك .. بل ولن تحتاج إلى توكيلى رسميا .

حذق (إبراهيم) في وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث ان هتف :

- يا إلهى ! .. إننى اعرفك .. لقد عملنا معا مرة ، منذ خمس سنوات .. أنت (نديم فوزى) .. أليس كذلك ؟

أجابه (نديم) ، محاولا تجاهل هذه النقطة :

- بلى .. والآن أخبرنى ، من ذلك الشاب ، الذى أشرت إليه في نهاية الجلسة ، وناشدت الجميع إلقاء القبض عليه ؟

ارتسم الغضب على وجه (إبراهيم) ، وهتف :

- إنه أمين مخزن المضبوطات .. هو الوحيد الذى كان يمكنه سرقة الهيروين ، و .. .

انهارت ملامحه بغتة ، مع انهيار صوته ، وهو يستطرد :

- ولكن لماذا أخبرك ؟ .. لن يصدقنى أحد .. إنهم حتى لم يحاولوا إلقاء القبض عليه .

قال (نديم) ، محاولا تهدئته :

- لم يكن هناك ما يستوجب هذا ، على الرغم من اتهامك له ، فلقد استجوبه وكيل النيابة من قبل ، وثبت أنه لم يكن يحمل الهيروين عند انصرافه ، فقد تم تفتيشه كالمعتاد ، ثم إنه لم يكن هناك مبرر لوضع ما سرقه في حقيبة سيارتك أنت .

صاح (إبراهيم) :

- من المؤكد أنه يعمل لحسابهم .. لقد فعلوا هذا للانتقام منى .

اعتدل (نديم) ، وسأله في اهتمام :

- من هم هؤلاء يا سيادة العقيد ؟

اندفع يقول في حدة :

- تجار الموت .. بائعو السموم .. أولئك الأوغاد

الأشرار ، الذين قضيت حياتي أحار بهم .. لقد ابتاعوا ضميره للانتقام مني .. إنهم ...

أشار إليه (نديم) أن يلتزم الصمت ، وهو يقول :
— رويدك يا سيادة العقيد .. حاول أن تسيطر على انفعالاتك ، وتخبرني بأسماء هؤلاء .

عض (إبراهيم) شفقه السفلى في حلق ، وهو يقول :
— ليتنى أعلمها .. ليتنى أعرف من هم .

تراجع (نديم) في مقعده ، وغمغم :
— إذن فلست تعلم من هم !

ثم نهض بحركة مفاجئة ، وهو يستطرد في حسم :
— دع أمرهم لى إذن .

سأله (إبراهيم) في حيرة :
— وماذا يمكنك أن تفعل ؟ .. لن تجد دليلا واحدا لإدانتهم ، ولن يمكنك أبدا أن ..

قاطعه (نديم) في هدوء :
— ومن قال إننى سأبحث عن أدلة ؟
سأله في دهشة :

— ماذا ستفعل إذن ؟

ألقى (نديم) نظرة طويلة ، عبر نافذة حجرة مأمور السجن ، قبل أن يجيب :

— سأسمى لتطبيق العدالة يا صديقى .

وبدا وكأن كلماته تحمل طنا من الحزم والصرامة ، وهو يضيف :

— بوسيلتى الخاصة .

وفى أعماقه ابتسم (العقرب) ..

أطلق (درويش) ، أمين مخزن المضبوطات ، صفيرا منغوما من فمه ، وهو يصعد في درجات سلم منزله ، واتسعت ابتسامته في زهو وسعادة ، لتلتهم وجهه النحيل كله ، وهو يدندن بكلمات أغنية حديثة ، ويدس مفتاحه في ثقب باب شقته ، ثم يديره قائلا في مرح :

— انتهت أيام الفقر يا (درويش) .. الثراء والحياة الرغدة ينتظرانك .

دلف إلى منزله ، أغلق بابه خلفه ، وهو يستطرد :
— وداعا للفقر .

انتفض جسده انتفاضة عنيفة ، كادت تنزع قلبه من بين شلوعه ، عندما سمع من خلفه صوتا يضيف :

— وللشرف .

استدار (درويش) في سرعة إلى مصدر الصوت ، وانتفض جسده انتفاضة ثانية أكثر قوة وعنفا ، عندما وقع بصره على

صاحب الصوت ، الذى يخفى خلف قناع اسود ، ومهيمص
وسروالين وقفازين وحذاء من اللون نفسه ..

والتصق ظهر (درويش) بباب شقته ، وهو يهتف فى رعب :
— من أنت ؟

اقترب منه (العقرب) فى برود ، وهو يقول فى صرامة
مخيفة :

— أنا من سيقتنص منك ايها المجرم .

قال (درويش) فى انهيار :

— لم أفعل شيئا .

اجابه (العقرب) :

— حقا؟! وماذا عن الهيروين ، الذى سرقتة من مخزن
المضبوطات ؟.. هل تحب ان اخبرك كيف فعلت هذا ؟..
لقد اخذت الكيلوجرامين ، واذبتهما فى الحوض ، مع المياه
الجارية ، ثم غادرت المخزن ، وخضعت للتفتيش فى ثقة ،
لانك لا تحمل شيئا ، فى حين كان مجرم آخر يضع وزنا مساويا
من الهيروين ، فى حقيبة سيارة العقيد (ابراهيم) ، وثالث يبلغ
الشرطة .. كانت خطة بسيطة وذكية ، اليس كذلك ؟

انكمش (درويش) فى مكانه ، وحمل صوته شيئا من
الحدة ، وهو يقول :

— ماذا تريد منى بالضبط ؟

ارجفته نظرة صارمة فى عين (العقرب) ، الذى اجاب فى
صوت ترتجف له الدماء فى العروق :

— اريد اعترافا .. اعترافا كاملا .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل ان يخفض (درويش)
عينيه ، ويقول فى خفوت :

— مستحيل :

نطقها واستجمع شجاعته كلها بفتة ، ودفع (العقرب)
فى صدره ، هاتفا :

— لن أقدم نفسى للموت هكذا .

تراجع (العقرب) إثر الدفعة ، فى نفس الوقت الذى دار
فيه (درويش) على عقبه ، وفتح باب شقته ، وهم بالعدو
خارجه ، ولكن ..

امسكت قبضة قوية بعنقه ، واعادته إلى الشقة ،
مصحوية بصوت (العقرب) ، وهو يقول فى صرامة :

— محاولة فاشلة يا رجل .

استدار (درويش) فى حدة ، وطوح قبضته فى وجه
(العقرب) ، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة فى مرونة ، وقال :

— محاولة ثانية فاشلة .

ثم انطلقت قبضته كالتنبلة ، فى وجه (درويش) ، الذى
اطلق صرخة ألم عالية ، وهتف وهو يلوح بيده ، ويحاول

منع نزيف أنفه باليد الأخرى :

— الرحمة !! الرحمة !

انتزعه (العقرب) من مكانه بقبضتين فولاذيتين ، وأصغته بالحائط في عنف ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :
— هيا يا رجل .. أريد اعترافا كاملا .. وبسرعة .
هتف (درويش) في مرارة :

— لا يمكننى هذا .. إنهم سيقتلوننى لو فعلت .
قال (العقرب) في صرامة مخيفة :

— يبدو أنك سيء الحظ كثيرا ، فسأقتلك ، أنا لو لم تفعل .
كان من الواضح أن عبارته قد تركت تأثيرها في قلب (درويش) ، فقد ارتجف الرجل ارتجافة واضحة ، وأطل الخوف من عينيه ، وانفجرت شفثاه على نحو يوحى بأنه سيدلى باعتراف رجل منهار ، لولا أن ارتفع من خلف (العقرب) فجأة صوت يهوج بالظفر والتشفى ، يقول :
— يا للقدر !! .. يبدو أننى أحيا أفضل ليلة في عمري كله .. إننى محظوظ بحق ..

أدرك (العقرب) من صاحب هذا الصوت ، قبل حتى أن يلتفت إليه ..

— كان (مجدى) ..

العقيد (مجدى) ..

من المؤكد أن (غادة) كانت ملفتة للنظر في شدة ، وهى تجتاز الشارع الرئيسى فى حى (الباطنية) ، الذى يحوز شهرة واسعة ، فى عالم المخدرات ، مرتدية ذلك الثوب البالغ



الاناقة ، الذى جعلها تبدو كأمره تتفقد الاحياء الفقيرة في مملكتها ..

ويقدر ما اثار جمالها واناقتها الإعجاب ، اثار وجودها في ذلك الحى الحيرة والشك ، حتى ان (قاسم عبيد) ، اكبر الرعوس في المنطقة ، قد مال على اذن مساعده (جميل) ، وساله :

— ماذا تفعل فتاة مثلها هنا ؟

الغنى (جميل) نظرة لامبالية على (غادة) ، وقال :

— ربما أنت لشراء جرام أو جرامين من المسحوق الابيض .

عقد (قاسم) حاجبيه ، وهو يقول في شك :

— لا .. لست اظن هذا .. إنها لا تبدو مثل ..

تاطعه (جميل) في استهتار :

— لا تجعل جمالها واناقتها يخدعائك يا زعيمى .. إننا ناجحون في عملنا ، إلى الحد الذى أفسد حتى أبناء الأسر الراقية ، فآدمناوا استنشاق المسحوق .. أراهنك ان جمالها هذا ليس سوى ..

كان دور زعيمه ليقاطعه هذه المرة ، وهو يمسك كتفه في قوة ، ويقول في حدة :

— اصبت .. إنها تتجه إلينا مباشرة .

حذق (جميل) في (غادة) ، وهو يهتف في دهشة :

— إلينا !؟

بلغت كلمته مسامع (غادة) ، فارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، زادت من قلق (قاسم) وشكوكه ، وخاصة عندما مدت (غادة) يدها تصافحه في هدوء ، وتقول :

— (قاسم عبيد) ، اكبر تجار المنطقة .. اليس كذلك ؟

صافحها (قاسم) ، وهو يقول في حذر :

— بلى .. أنا اكبر تاجر اعلاف في ال

قاطعته ساخرة :

— ومن ذكر أمر الاعلاف ؟

ثم مالته نحوه ، واستدركت في حزم :

— إننى اقصد المخدرات .

لم يكن ذلك سرا ..

صحيح ان الشرطة لم تنجح حتى الآن ، في التقاط دليل قوى ، يصلح لإلقاء (قاسم عبيد) خلف القضبان ، إلا ان كل شرطى في إدارة مكافحة المخدرات يعلم انه الاكبر ، بين كل تجار هذه السموم البيضاء ..

وعلى الرغم من ذلك ارتجف (قاسم) ..

لم يكن يتوقع أبدا أن تواجهه (غادة) بكل هذا الوضوح والصراحة ..

لم يكن يتوقع هذا الهجوم اللفظى المباغت ؛ ولهذا ظل يحدق في وجه (غادة) لحظات في ذهول ، حتى سألها (جميل) في خشونة :

— من أنت ؟ .. وماذا تريد ؟

التفتت إليه (غادة) ، وقالت في صرامة :
— لا شأن لك بهذا ، ولا تنس أبدا أنك مجرد تابع .
احتقن وجه (جميل) ، وهتف في حنق :
— أيتها الـ

استوقفه زعيمه في حزم ، وهو يقول بلهجة آمرة :
— أصمت .

ثم أدار عينيه إلى (غادة) ، وقال وقد استعاد هدوءه :
— لن يصلح الحديث في مثل هذه الأمور هنا . . . هيا إلى
مكتبي .

ابتسمت (غادة) في ثقة ، وقالت في بساطة :
— لا بأس . . . هيا بنا .

تبعته إلى حجرة مكتبه ، الملحقة بمتجره ، ولم تكذ تدخل
إلى المكتب حتى أغلق (جميل) الباب خلفهما ، فأشارت إليه
(غادة) ، وقالت ساخرة :
— أمن الضروري أن يجلس هذا الشيء معنا ؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :
— نعم . . . إن وجوده ضروري للغاية .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى سمعت (غادة) صوت (جميل)
من خلفها ، يقول في شراسة :

— وستعرفين لماذا .

ثم مس نصل مدية حادة عنقها ، مع صوته يستطرد :
— بعد نوات الأوان .

عندئذ أدركت لماذا . .

٣ — اللعبة ..

كان الموقف دقيقا بحق . . .

لقد حقق (مجدى) حلمه ، وضبط (العقرب) متلبسا . .

وعلى الرغم من ذلك ، استدار (العقرب) في هدوء يواجه
مجدى) ، الذى حملت شفتاه ابتسامة ظفر واسعة ،
وأبسكت قبضته مسدسا حكوميا كبيرا ، يصوبه إلى صدر
(العقرب) في تحفز واضح . .

وران صمت رهيب على المكان ، قطعه (درويش) فجأة ،
عندما تعرف (مجدى) ، نهتف في لهفة :

— ألق القبض عليه يا سيادة العقيد . . إنه يهددنى
بالمقتل .

فوجيء بـ (مجدى) يقول في خشونة :

— أصمت يا رجل .

تراجع (درويش) في دهشة وقلق ، وراح ينقل بصره في
خوف ، بين وجهى (مجدى) و (العقرب) ، حتى قال هذا
الأخير في هدوء ، محاولا تغيير صوته :

— هل الحظ وحده ، هو الذى جاء بك إلى هنا ؟

أجابته (مجدى) في زهو :

— بل عقلى هو الذى فعل ، فلقد شاهدت مثلك ما فعله

(درويش) ، في قاعة المحاكمة ، وأدركت أن له صلة بالامر ،
ورأيت الانفعال الذى ارتسم على وجهك حينذاك ، وعلمت

أنك ستسمى حتما خلف (درويش) ، فانتظرت هنا ، حتى سمعت صرخة هذا الأخير ، فأسرعت إلى شقته ، ووجدت بابها مفتوحا - لحسن الحظ - وهاتذا .

قال (العقرب) في برود :

- تدهشنى الوسيلة ، التى بلغت بها هذا المكان ، على الرغم من خطب الاستفاج ، فانا لم اذهب إلى أية قاعة محاكمات هذا الصباح .

اطلق (مجدى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

- هكذا؟! .. لا يا صديقى .. لن يمكنك اللعب على هذا الوتر ، على الرغم من هذا القناع ، ومحاولة تبديل صوتك .. ألم تنقبه إلى الخطأ ، الذى وقعت فيه ؟ .. كيف علمت اننى أقصد هذا الصباح ، على الرغم من اننى لم اذكر هذا . اجابه (العقرب) فى بساطة :

- لاننى اعلم ان محاكمة (ابراهيم علوان) ستتم هذا الصباح ، وهناك فارق كبير بين معرفتى بالأمر ، وحضورى المحاكمة .

لم يرق هذا لـ (مجدى) ، ولم يعجبه ان حطم (العقرب) قرينته بهذه السهولة ، فعقد حاجبيه فى صرامة ، وقال فى حدة ، وهو يرفع مسدسه إلى وجه (العقرب) :

- فليكن أيها المغرور ، سنقطع الشك باليقين .

وحملت كلماته كل غضب وحزم الدنيا ، وهو يستطرد :

- هيا .. انزع قناعك .

ولم يكن هناك مجال للفرار ..

شعرت (غادة) بنصل المديحة الحاد على عنقها ، وأدركت على الفور أن (جميل) هذا من ذلك النوع ، الذى لم يحظ بقدر كاف من التهذيب ، بحيث يتردد أمام قتل مخلوق حى .. ولكنها لم تخف ..

لقد كانت تتوقع مثل هذا الموقف ، منذ وضعت قدميها فى هذه المملكة الإجرامية الرهيبة ..

ملكة الشر ..

وعندما وضع (جميل) نصل مديته على عنقها ، أدركت ان لحظة العمل قد حانت ..

وبدأت قتالها ..

وبلا تردد ..

فجأة قفزت يدها تمسك بمعصم (جميل) ، ثم انزلت من ذراعه فى مهارة ورشاقة ، ودارت على كعبها فى مرونة ، ودنعت اظفارها فى عنق الرجل ، ثم قفزت تركز معدته بكعب حذائها الدقيق ، وطارت قدمها الاخرى تضرب المديحة فى الوقت ذاته ..

وانثنى (جميل) ، وهو يمك معدته في الم ، في حين
تغزت (غادة) تلتقط المدية ، ووضعتها على عنقه هو ، قائلة
في سخرية :

— معذرة .. لم انتبه إلى حديثك السابق .. ماذا كنت
تقول ؟

شحب وجه (جميل) في خوف ، ثم لم يلبث أن احتقن في
غضب ، في حين قال (قاسم) وهو يتراجع إلى حيث مكتبه
في عصبية :

— ما معنى هذا ؟

فوجيء بـ (غادة) تخرج من ثوبها مسدسا صغيرا ،
وتصوبه إليه ، قائلة :

— معناه أنك ستتلقى رصاصة في منتصف جبهتك تماما ،
لو أنك انتزعت مسدسك من درج مكتبك ، كما تنوى أن
تفعل .

اتسعت عينا (قاسم) في دهشة وذعر ، واحتبست كلماته
في حلقه ، في حين سمل (جميل) في توتر ، وقال :

— إنها مجنونة ولا شك .. كيف تجرؤ على مهاجمتنا هنا ؟
أعدت (غادة) مسدسها إلى جيب سرى في ثوبها ، وهي
تقول :

— أين كنت تحب أن أفعل ؟ .. في حديقة الحيوان ؟

حبس كلماته في حلقه ، وهو يتطلع إليها في غضب ، في حين
سألها (قاسم) ، وقد تضاعفت عصبيته :

— مرة أخرى أسالك ، ما معنى هذا ؟

اتخذت لنفسها مقعدا ، ووضعت إحدى ساقيها فوق
الأخرى ، وهي تجيب :

— معناه انكم لا تحسنون التعامل مع الضيوف .
غمغم في دهشة :

— الضيوف ؟!

أضافت في هدوء :

— ورجال الأعمال .

حذق فيها لحظات في صمت وحيرة ، ثم تبادل مع (جميل) :
ظرة تساؤل ، واتجه إلى مكتبه ، وجلس على المقعد الوثير
فلقه ، قبل أن يسألها في حذر :

— أى نوع من الأعمال ؟

أجابته في هدوء شديد :

— التوريد .. توريد الهيروين النقي .

عقد حاجبيه في شدة ، ولاحظ العصبية الشديدة ، التي
انتابت مساعدته (جميل) ، فراح يفرك كفيه في حدة ، وقال
في حذر :

ولكن التعامل مع هذا المسحوق محظور ، بأية صيغة
من الصور ، و ..

قاطعته في لهجة توحى بالضجر :

— اسمع يا رجل .. لست أهوى لعبة القط والفار هذه ،
ولست مستعدة لإضاعة نصف عمري فيها ، فلقد أجريت
تحريات واسعة هذا الصباح ، وعلمت منها أنك زعيم تجار

هذا المسحوق ، واعلم الآن أنك تخشى أن أكون واحدة من
فتيات الشرطة وضباطها ، ولكنى لست كذلك .

ظل يتطلع إليها في شك وحذر ، عاجزا عن استيعاب
أسلوبها المباشر ، فاستطردت في سخرية :
- ولكنى شرطية سابقة .

اتسعت عيناه في دهشة ، وهتف :
- شرطية؟!

ابتسمت متهكئة ، وهي تجيب :

- نعم .. شرطية مسابقة ، ولا تجعل ذلك يربك إلى
هذا الحد ، فلقد استقلت من صفوف الشرطة منذ عام
كامل ، وأعمل الآن محامية ، وأمثل شرطيا سابقا أيضا ، يعمل
محاميا كذلك ، ولكن في الظاهر فقط ، في حين يرغب في إدارة
مشروع آخر في الباطن .

سألها في حذر :

- ما اسم هذا المحامي ؟

أجابته في بساطة :

- (نديم) .. (نديم فوزي) .. ولكن هذا لا يهم الآن ..
المهم أن رئيسي هذا قد نجح في إدخال كمية كبيرة من الهيروين
النقي إلى البلاد ، ويحتفظ بها في مكان آمن للغاية ، ويبحث
عن موزع مضمون ، أو مشتر جيد ، يمكنه أن ينقده ثمن الكمية
كلها فوراً ، دون تسويق أو ملاحظة ، فما رأيك ؟

ساد الصمت القام في حجرة مكتب (قاسم) ، الذي راح
يتطلع إلى (غادة) في إيمان ، وكأنها يحاول أن يستشف من

روايات مصرية للجيب - كوكبيل ٢٠٠٠

٣٩

ملاحظها ما تخفيه أعماقتها ، إلا أن وجهها بدا له جامدا ، على
الرغم من الابتسامة الواثقة ، والتي تعلو شفثيها ، والتي
جعلته يقول في النهاية :

- الواقع أنني لست ...

قاطعته ، وهي تنهض في هدوء :

- أظنك تحتاج إلى وقت للتفكير .. اليس كذلك ؟

ثم اتجهت نحو الباب ، دون أن تنتظر جوابه ، مستطردة :

- سأتى لمقابلتك في الصباح .. إلى اللقاء .

غادرت المكان ، وأغلقت الباب خلفها في لامبالاة ، فحرق
(جميل) في الباب المغلق في دهشة واستنكار ، ثم التفت إلى
زعيمة ، هاتفا :

- هل ستتركها تنصرف هكذا ؟

تطلع إليه زعيمة لحظات في صمت ، ثم لوح بكنه ، قائلا :

- بالتأكيد .

هتف (جميل)

ولكنها هاجمتنى ، وهددتك بمسدسها ، و ...

قاطعته في حدة :

- أنت غبي .

حرق (جميل) في وجهه في دهشة ، وقال :

- أنا؟!

أجابته (قاسم) في حدة :

- نعم .. أنت غبي ، وعصبي ، وعنيف ، وكلها صفات

ستوقع بك في قبضة الشرطة يوما ما ، ما لم تتغلب عليها ..

ألم تستوعب الأمر بعد ؟ .. إننا أمام فتاة تقدم لنا عرضا ، وهذا العرض لا يحتمل سوى احتمالين ، لا ثالث لهما ، فإما أنها خدعة من رجال الشرطة للإيقاع بنا ، أو هو بالفعل تاجر جديد ، يرغب في دخول عالمنا ، وفي الحالتين يكون من الخطأ أن نهجم هذه الفتاة ، أو نقتلها ، فسيصبح هذا دليلا لإدانتنا في الحالة الأولى ، وخطا يفقدنا صفة طيبة في الحالة الثانية .
عقد (جميل) حاجبيه يدرس الأمر ، ثم غمغم :

— هذا صحيح .

تراجع (قاسم) في مقعده ، وهو يقول :

— وأنا لا أحب أن أخسر لعبة مع الشرطة ، أو صفقة مع تاجر جديد ، ولهذا ينبغي أن ألعب اللعبة بطريقتي أنا .
مال (جميل) نحوه ، يسأله في اهتمام :

— كيف ؟

أشعل (قاسم) سيجارته ، ونفث دخانها في بطنه ، وهو يجيب :

— تماما كما سيفعلها رجال الشرطة ، لو كانوا في نفس موضعنا .

وابتسم مستطردا في سخرية :

— سنتحرى الأمر أولا .

وحملت ابتسامته شيئا جديدا ..

ومخيفا ..

٤ — وسقط الحاجز ..

لم يكن من السهل — بالتأكيد — أن يفرغ (العقرب) قناعه ، ويهدد حياته وعمله ومستقبله بهذه السهولة ..

ولكن الموقف لم يكن أيضا سهلا أو هينا ..

لقد كان (العقرب) يواجه خصما لدودا ، لا يتمنى في حياته أكثر من فضح شخصيته ، ولم يكن يحمل سلاحا ، في حين كان خصمه يصوب إليه واحدا ..

وكان الموقف يحتاج إلى لعبة ذكية ..

أو إلى خدعة محكمة ..

وفي هدوء ، عقد (العقرب) ساعديه أمام صدره ، وقال :

— يخيل إلى أنك تمزح أيها العقيد .

جذب (مجدى) إبرة مسدسه في حزم ، وهو يقول في حدة :

— هل تراهن ؟

هز (العقرب) كتفيه ، على نحو يوحي باللامبالاة ، وهو يقول :

— لست أميل إلى المراهنات ، فهي تخالف الشريعة الدينية ، أو الفطرة السليمة ، ولكنك تعلم حتما أنني لن أنزع قناعي أبدا .

قال (مجدى) في صرامة غاضبة :

— ستنزعه ، وإلا أطلقت عليك النار .

هز (العقرب) رأسه في هدوء ، وقال :

— لن تفعل أيها العقيد .. لن يمكنك أن تفعل ؛ لأنك تلتزم بالقانون ، الذي يمعنك من إطلاق النار على شخص ، لم يحاول حتى مهاجمتك .

تطلع إليه (مجدى) في صمت وحذر و غضب ، ثم قال في عصبية :

— أعلم ما ترمى إليه يا (نديم) .. إنك تحاول دفعى إلى الاقتراب منك ، لنزع قناعك بنفسى ، عسى أن يمنحك هذا فرصة تجريدى من مسدسى ، والفرار من هنا ، قبل أن أكشف شخصيتك ، ولكك وا هم ، فهذا القناع ، الذى تخفى به وجهك ، هو الحاجز الذى يحول بينى وبين إدانتك دائما ، فهو يثير الشك حول حقيقة شخصيتك ، والشك يميل دائما إلى كفة المتهم ، ولكنى مصر على إسقاط الحاجز هذه المرة ، ونزع قناعك .

ثم التفت إلى (درويش) ، واستطرد في لهجة أمره :

— أنتزع أنت قناعه يا رجل .

هتف (درويش) في ذعر :

— أنا ؟!

أجابه (مجدى) في حدة :

— نعم .. أنت .. لا ترتجف هكذا .. إنه مجرد رجل عادى ، على الرغم من مظهره المخيف ، الذى سيتلاشى فور نزعك قناعه الأسود هذا .. هيا .. انزعه .

روايات مصرية للجيب — كوكتيل ٢٠٠٠

٤٣

تردد (درويش) لحظة اخرى ، إلا انه لم يلبث أن وجد الفكرة مغرية بحق ، فذلك المقنع وحده هو الذى يمثل خطرا عليه ، ونزعه القناع سيعنى وتسوع المقنع في قبضة العقيد (مجدى) ، ونجاته هو بالتبعية ..

ومنحته الفكرة الشجاعة اللازمة ، فدار حول (نديم) ، والذى ظل يعقد ساعديه أمام صدره ، ومد (درويش) يده نحو القناع ، وهو يقول :

— سأنزعه .

وفجأة حل (نديم) ساعديه في حركة سريعة ، وأمسك ذراعى (درويش) في قوة ، وجعل من الرجل درعا ، بقيه رصاصات مسدس (مجدى) ، وهو يقول :

— أحسنت يا رجل .

ثم اندفع بجسد (درويش) نحو (مجدى) ..

وارتبك (مجدى) بحق ..

لم يكن يتوقع هذا من (العقرب) ..

ولم يكن يستعد له ..

ثم إنه لا يستطيع إطلاق النار على (درويش) ..

ومع لحظات ارتباكك هذه ، بلغه (العقرب) ، ودفع (درويش) إلى صدره ، وهو يقول :

— اعذرني على هذه الهدية السخيفة يا عزيزى (مجدى) .

ثم قفزت قدمه تركل المسدس من يد (مجدى) ، مستطردا :

— ولكك اجبرثنى على منحك إياه .

تفجر الغيظ في نفس (مجدى) ، عندما فقد سلاحه وفرصته على هذا النحو ، فأزاح (درويش) جانباً في حدة ، وهو يصرخ :

— لا .

ثم انقض على (العقرب) مستطرداً :

— لن تخدعنى مرة أخرى .

هوى بقبضته على فك (نديم) في قوة ، ولكن بطلنا تلقى اللكمة على ساعده ، وهو يقول :

— مهلا يا (مجدى) .

زمجر (مجدى) ، واطلق قبضته الثانية في وجه (العقرب) ، الذى استطرد في حزم :

— إنك ترتكب خطأ جسيماً بشجارك معى .

ثم انحنى متفادياً لكمة (مجدى) ، الذى اختل توازنه ، فدار جسده حول نفسه ، و (العقرب) يتابع :

— فى حين أننا نسمى خلف هدف واحد .

ودفع ساعديه تحت ذراعى (مجدى) ، ثم رفع كفيه للفتشابك أصابعهما ، خلف عنق هذا الأخير ، وهو يضيف :

— ومن الأفضل أن نتحد هذه المرة .

شلت هذه الوسيلة حركة (مجدى) تماماً ، فراح يطوح ذراعيه فى الهواء ، ويتلوى بجسده ، محاولاً تخليص نفسه ، وهو يصرخ فى غضب :

— لن تهزمنى إلى الأبد .. لن تفعل .



قال (نديم) في صرامة :

— كفى يا رجل .. من المؤكد أنك تهتم بإثبات براءة زميلك (إبراهيم) ، وأنا أسمى خلف الهدف نفسه ، ودليل البراءة يقف أمامنا على قدميه ، ويشاهد شجارنا شامتا .. اليس هذه سخافة منقطعة النظير ؟ .. اليس من الأفضل أن نتحد ؛ لنفوز في هذه المعركة على الأقل ؟ ..

توقف (مجدى) عن المقاومة ، وهو يغمغم :
— نتحد ؟

كان من العسير عليه أن ينطق الكلمة ، وأن يتصور محاولة تحويلها إلى حقيقة ..

هناك حاجز رهيب ، يحول بينه وبين (نديم) ..
حاجز من الغضب والعناد ..

حاجز مهيب عنيف ..

ولم يكن من السهل أبدا أن يتصور سقوط هذا الحاجز ..
بل من المستحيل أن يفعل ..

ولكن كلمات (نديم) كانت منطقية للغاية ..
إتھما يقاتلان من أجل هدف مشترك ..

ومن المحتم أن يتحدا معا ..
ولم لا ؟ ..

سيتحد مع (نديم) هذه المرة ..

سيعاونه حتى ينجح في إثبات براءة (إبراهيم) ..
وبعدها يعاود قتاله معه ..

وفي أعماقه سقط هذا الحاجز ، ووجد نفسه يقول :

— نعم .. لن يضيرنا أن نتحد ، ولو لمرة واحدة .

وهنا انتقل الشعور بالخطر إلى قلب (درويش) ..

إن اتحادهما يعنى المزيد من القوة لكليهما ..

ويعنى سقوطه هو ..

ولم يكن ليحتفل السقوط ..

والتفت عيناه بسرعة إلى مسدس (مجدى) ، الذى أسقطه

(العقرب) ، فقفز يلتقطه في حدة ، ورفع نحو (مجدى)

و (نديم) ، وهو يهتف في عصبية :

— في هذه الحالة يختلف الأمر كثيرا ..

وبلا تردد ، أطلق النار ..

تألمت عينا (قاسم) ، وشفت خلعته عن ارتياح بالغ ،

وهو يضع سماعة الهاتف على أذنه ، ويستمع إلى شخص ما

في انتباه شديد ، قبل أن يقول :

— هذا عظيم .. عظيم جدا .

وأعاد السماعة إلى موضعها ، وهو يبتسم ابتسامته

واسعة ، جعلت مساعده (جميل) يسأله في لهفة :

— أهي أخبار سارة ؟

أجابه (قاسم) في انفعال :

— بالتأكيد .

ثم اعتدل في مقعده ، وسيطر على أعصابه الثائرة ، وهو يستطرد :

— لقد اتصلت برجل يعمل لحسابنا ، في مديرية الأمن ، وسألته عن (نديم فوزى) هذا ، فأخبرنى أنه كان ضابطا برتبة رائد ، في صفوف الشرطة ، ثم فصله وزير الداخلية السابق ، منذ ما يقرب من العام ؛ بسبب عنفه ، وإصراره على تخطى القوانين والإجراءات القانونية في ضبط المتهمين ، ولقد حاول (نديم) فتح مكتب خاص للتحريات ، ولكنهم رفضوا طلبه ، وسحبوا منه رخصة السلاح ، فما كان منه إلا أن افتتح مكتبا للمحاماة ، وانضمت إليه زميلته (غادة) ، بعد أن استقالت بدورها .

سأله (جميل) في اهتمام :

— إذن فلقد كانت الفتاة صادقة .

أوما (قاسم) برأسه إيجابا ، وقال :

— هذا ما يبدو منطقيًا ، فنحن أمام رجل يحمل كل المقت والكراهية لرجال الشرطة ، بعد فصله من الخدمة ، ومنعه من مزاوله عمل متميز ، ومن الطبيعي أن يسعى مثل هذا الرجل إلى ما يمنحه القوة ، ولذة محاربة الشرطة في آن واحد ، ومن الطبيعي أن يقوده هذا إلى عالمنا .

سأله (جميل) في شك :

— ولكن من أين له بالمال الكافي ، للانجار في الهيروين النقي ؟

اتسعت ابتسامة (قاسم) ، وهو يقول :

— والده واحد من أكبر مليونيرات (مصر) .

أوما (جميل) برأسه ، وقال :

— إذن فقد ربحنا موردا جديدا .

مط (قاسم) شفقيه ، وقال :

— أو قتيلا جديدا ..

وانطلقت من بين شفقيه ضحكة ..

ضحكة شيطانية ..

* * *



٥ - اللقاء ..

في الاتحاد قوة ..

لم يؤمن (مجدى) في حياته كلها بهذه العبارة ، مثلما يؤمن بها الآن ، بعد ما حدث ..

كان (درويش) يصوب إليه مسدسه ، ويضغط الزناد .. ثم تحرك هو و (العقرب) ..

انحنى الاثنان في حركة واحدة ، جعلت الرصاصة تعبر فوق رأسيهما ، ثم قفزت قدم (مجدى) تركز مسدس (درويش) ، واندفع (العقرب) في الوقت ذاته نحو المجرم ، وكان له لكمة كالقنبلة ، طارت لها اثنتان من أسنان (درويش) ، قبل أن يرتطم هو بالحائط ، ثم يرتد ساقطاً على وجهه ..

وبحركة سريعة ، التقط (العقرب) المسدس ، وامسك (درويش) من شعره ، وجذبه في قوة ، حتى أجبره على الوقوف ، وهو يقول في صرامة :
— ستدفع ثمن هذا .

كانت الدماء تملأ فم (درويش) ، والرعب يملأ قلبه ، فهتف بهزيع منهما ، وهو يلوح بيده مذعوراً :
— الرحمة !! الرحمة !!

امسك (مجدى) عنق (درويش) في قوة ، وقال في غضب :
— أية رحمة تشدها ، بعد محاولتك قتلنا يا رجل ؟

روايات مصرية للجيب - كوكيل ٢٠٠٠

٥١

انهار (درويش) ، هاتفا في ضراعة :

— لم اكن اقصد هذا .. لم اكن اقصد .

امسك (العقرب) يد (مجدى) ، وهو يقول في هدوء :

— انتظر يا صديقى .. لقد أدرك هذا الوغد خطاه ، وسيكفر عنه باعتراف بسيط .

رمقه (مجدى) بنظرة نارية ، إلا انه غمغم :

— اتظنه سيفعل ؟

قال (العقرب) في هدوء :

— بالتأكيد .

ثم التفت إلى (درويش) ، وقال في صرامة :

— هيا يا رجل .. إننا ننتظر اعترافا مكتوباً ..

زاغت عينا (درويش) ، وهو يقول في ارتياح :

— لن أستطيع .. أقسم ، إننى لا أستطيع هذا .. سيقتلوننى لو فعلت .

كاد (مجدى) ينفجر غاضباً ، ويهيل طناً من السخف والسباب على رأس (درويش) ، ولكنه لم يكذ يفتح فمه لينطق ، حتى فوجيء بـ (العقرب) يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول في هدوء :

— يبدو أنك قد أخطأت نهم الغرض الحقيقى من اعترافك يا رجل .

تطلع إليه (درويش) في شك وحمرة ، فأكمل بنفس الهدوء :

— لسنا نحتاج إلى هذا الاعتراف لمعرفة الجاني الحقيقي،
فنحن نعلم أنه (قاسم عبيد) .

شحب وجه (درويش) في شدة ، وتطلع (مجدى) إلى
وجه (العقرب) في دهشة ، وهذا الأخير يتابع :
— إننا نعلم هذا ، ولدينا ما يدين (قاسم) ، ولكنه سيلقى
بالتبعية كلها عليك ، وسيثبت هذا بالدليل الذى لديه .. وانت
تدرك هذا الدليل .

انهار (درويش) تماما ، عند هذه النقطة ، وقال :

— أقسم إننى لم أقصد الإساءة إلى العقيد (إبراهيم) ..
لقد أفهمنى (جميل) ، مساعد (قاسم) أنهم يحاولون
إحراجه ، وتهديده فحسب .. لم أكن أعلم أنهم يخططون
إلقاته في السجن .

قال (العقرب) في صرامة :

— أريد هذا الاعتراف مكتوبا .. هل ستفعل ؟

أجاب (درويش) ، وقد بلغ انهياره ذروته :

— سأفعل .. سأفعل كل ما تطلبونه .

وأدلى باعتراف تفصيلى ..

قرأ (مجدى) اعتراف (درويش) — للمرة الثانية — في
انفعال بالغ ، ثم طواه ووضع في جيبه في حرص ، وهو
يهتف :

— لقد حصلنا عليه .. حصلنا على الاعتراف .. لقد
حققنا انتصارا رائعا ، وسريعا للغاية .

أجابه (العقرب) في هدوء :

— ليس بعد يا صديقى .

تطلع إليه (مجدى) في حنق ، وهتف :

— ماذا تعنى بليس بعد هذه ؟

وبدا وكأنها تذكر بغثة غرابة الموقف ، فاستطرد في حدة :

— ثم لماذا لم تعد إلى مسدسى ، ما دمت تدعى أننا

سنعاون معا هذه المرة ؟

أجابه (العقرب) في بساطة :

— ربما لأننى لا أثق في حسن تعاونك يا صديقى .

صاح (مجدى) في غضب :

— أى قول هذا ؟ .. انسى أنتى أمثل القانون ؟

وانتى .. ؟

قاطعه في حزم :

— ربما كان هذا هو السبب .

مرت لحظة ثقيلة من الصمت ، و (مجدى) يتطلع إلى

عيني (العقرب) في تحد ، قبل أن يقول في عصبية :

— اسمع يا (نديم) .. لقد سمحت لنفسى بالجلوس

معك ، وانت تخفى وجهك بهذا القناع السخيف ، ولكن هذا

لا يعنى أبدا أن ..

قاطعه (العقرب) مرة أخرى في حزم :

— هل سنضيع الوقت في هذه السخافات ؟

تفجر الغضب في وجه (مجدى) ، وبدأ انه سينفجر بغتة كالتنبلة ، لولا ان استطرد (العقرب) دون توقف :

— هذا الاعتراف ، الذى حصلنا عليه من (درويش) ، لا يكفى لتبرئة (ابراهيم) ، فمن الممكن ان يتراجع . (درويش) عن اعترافه — بكل بساطة — امام وكيل النيابة ، بحجة اننا قد اجبرناه عليه ، وفي هذه الحالة سيصبح موقف (ابراهيم) اكثر ضعفا .

ابتلعت هذه الكلمات غضب (مجدى) وثورته ، فسأل في اهتمام :

— ماذا يمكننا ان نفعل إذن ؟

اجابه (العقرب) :

— لا بد لنا من الحصول على دليل إدانة قوى .

سأله بنفس الاهتمام :

— كيف ؟

جلس (العقرب) على أول مقعد صادفه في هدوء ، وهو يقول :

— سأخبرك كيف ..

وراح يروى خطته ..



لم يكد (نديم) يخطو داخل مكتبه ، في الصباح التالي ، حتى استقبله عم (احمد) ، عامل المكتب ، وهو يقول في قلق :

— هناك رجل ينتظرك في مكتبك يا استاذ (نديم) .

سأله (نديم) في هدوء :

— ولماذا تنطقها بكل هذا القلق يا عم (احمد) ؟

هز (احمد) كتفيه في حيرة ، وقال :

— لست أدري يا استاذ (نديم) ، ولكن هيئة هذا الرجل

لا تبدو مطمئنة أبدا .

ربت (نديم) على كتفه ، قائلاً :

— لا تجعل هذا يقلقك .

اتجه إلى حجرته بكل هدوء ، وألقى نظرة على الرجل الذى

يجلس داخلها ، والذى نهض يستقبله ، ومد يده يصانحه ،

وهو يقول :

— صباح الخير يا (نديم) بك .. أنا (جميل) .. مسرّتين

(قاسم بك عبيد) .

فحصه (نديم) بنظرة سريعة ، ثم اتجه يجلس خلف

مكتبه ، وسأله :

— لماذا لم يأت (قاسم عبيد) بنفسه ؟

ابتسم (جميل) ابتسامة خبيثة ، وقال :

— الكبار لا يبدعون الخطوات الأولى يا (نديم) بك .

شبك (نديم) اصابع كفيه امام وجهه ، وراح يتطلع إلى (جميل) في برود ، ثم ساله بغتة :

— ما رأى رئيسك في عرضي ؟

ظلت نفس الابتسامة الخبيثة على شفתי (جميل) ، وهو يجيب :

— لو أنك تقصد فكرة توريد البضاعة إلينا ، فالفكرة مقبولة ، ولكن ..

صمت لحظات ، فسأله (نديم) :

— ولكن ماذا ؟ .. اينبغي أن اسجل اسمي في سجل الموردين ؟

قهقهه (جميل) ضاحكا ، وقال :

— دعابة طريفة يا (نديم) بك .

ثم تلاشى مرحة بغتة ، واطاف في جدية :

— ولكن مثل هذه الامور تعتمد على عدة نقاط .

سأله (نديم) :

— مثل ماذا ؟

استعاد (جميل) تلك الابتسامة الخبيثة ، وهو يقول :

— مثل سعر البضاعة ، ونوعيتها ، وطريقة السداد .

مرت لحظة من الصمت ، وكأنهما يزن (نديم) الامر في رأسه ، ثم سال (جميل) :

— هل زعميك رجل شريف ؟

اجابه (جميل) في حماس :

— إنه رجل شريف للغاية .

بدا الجواب ساخرا مضحكا ، بالنسبة لـ (نديم) ، إلا أنه

لم يبتسم ، وهو يلقي سؤاله التالي :

— أتعنى أنه رجل مضمون ؟

اجابه (جميل) بنفس الحماس :

— نعم .. مضمون تماما .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم قال (نديم) :

— اسمع يا (جميل) .. أبلغ رئيسك أنني أرغب في إتمام

هذه الصفقة في خلال يومين فحسب ؛ لأنني سأغادر البلاد بعدها ، وأريد إتمام كل الإجراءات المطلوبة في هذه الفترة .

ثم فتح درج مكتبه ، والتقط منه كيسا صغيرا ، يمتليء

بالمسحوق الأبيض ، القاه نحو (جميل) ، مستطردا :

— هذه هي العينة المطلوبة ، أما السمر ، فما هو ذا .

خط الرقم على ورقة صغيرة ، ودفعها أمام عيني (جميل) ،

وهو يضيف في حزم :

— وهذا يعنى ان الصفقة كلها تساوى مليونين من الجنيهات ، يتم دفعهما نقدا وعدا ، عند تسلم البضاعة .
رفع (جميل) حاجبيه فى دهشة ، وهو يطالع الرقم ، الذى



خطه (نديم) على الورقة ، ثم لم يلبث ان اخفى دهشته ،
ودس الورقة فى جيبه ، وابتسم قائلا :

— لا بأس يا (نديم) بك .. انتظر رد الزعيم الليلة .

اجابه (نديم) فى صرامة :

— بل بعد ساعتين لا اكثر .

تطلع إليه (جميل) فى دهشة ، فتراجع (نديم) فى مقعده ،
وسأله :

— هل تعتبر هذا نوعا من الضغط ؟

ابتسم (جميل) ، وقال فى هدوء :

— لا : لا توجد أية ضغوط .

ثم نهض مستطردا :

— لا بأس يا (نديم) بك .. سيأتيك الجواب بعد ساعتين .

وصافحه فى قوة ، ثم انصرف ..

وعلى الرغم من ان وجه (نديم) ظل جامدا ، إلا ان عينيه
قد حملتا ابتسامة واسعة ، وهو ينهض من خلف مكتبه ،
ويتجه إلى حجرة (غادة) المجاورة ..

وابتسمت (غادة) ، عندما رآته يدخل إلى حجرتها ،
وقالت :

— كان حديثك معه رائعا .

أوما برأسه فى حركة هادئة ، وسألها :

— هل سجلت المحادثة كلها ؟

ابتسمت قائلة :

— كل حرف منها .

ثم اضافت مشيرة إلى جهاز الكمبيوتر :

— وسيقوم الكمبيوتر بالباقي وحده .

هز كتفيه ، وقال :

— إنه عصر التكنولوجيا بالتأكيد .
وشرد بصره ، وهو يضيف :

— وسنرى من سيربح المعركة هذه المرة .. التكنولوجيا
أم تلك المملكة ..
مملكة الشر .



٦ — وبدأت اللعبة ..

التقطت عينا مراقب المنطقة ، الذى يعمل لحساب تجار
المخدرات فى (الباطنية) ، سيارة الشرطة ، التى دخلت إلى
الحي فأطلق صغيرا مميّزا ، نقله مراقب ثان إلى ثالث ،
وأطلقه الثالث فى قلب الحي ، معلنا وصول سيارة الشرطة ،
فتحرك الجميع فى سرعة ، واختفت آثار المخدرات فى دقائق ،
قبل أن تقتحم السيارة قلب السوق ، وتتوقف أمام متجر
(قاسم عبيد) مباشرة ..

لم يكن داخل السيارة سوى رجل واحد ، هو العقيد
(مجدى) ، الذى غادر السيارة فى حركة حادة ، وأدار عينيه
فى أهل الحي فى صرامة ، قبل أن يركرها على وجه (قاسم) ،
ويقول فى خشونة :

— أنت (قاسم عبيد) .. اليس كذلك ؟

التقط (قاسم) نفسا عميقا ، من مبسم نرجيلته الطويل ،
ونفثه فى الهواء ، قبل أن يقول فى استهتار :

— بلى .. أنا (قاسم عبيد) .. هل من خدمة يمكنى
تقديمها ؟

أمسكه (مجدى) من قميصه بفتة ، وأجبره على النهوض
فى عنف ، وهو يقول فى غضب صارم :

— انهض عندما تتحدث إلى .

تحفز (جميل) لحظة ، ثم لم يلبث أن تذكر أن هذا الذي يهين زعيمه رجل شرطة ، فتراجع في توتر ، في حين قال (قاسم) في هدوء :

— لقد نهضت بالفعل .. ماذا تريد مني بالضبط أيها العقيد ؟

حذق (مجدى) في عينيه مباشرة ، وهو يقول :

— أريد أن أرى كبير تجار السموم في المنطقة ؟

ابتسم (قاسم) في سخرية ، وقال :

— وما شأنى أنا بهذا ؟

جذبه إليه (مجدى) مرة ثانية في عنف ، وقال :

— اسمع يا رجل اسمعنى جيدا .. إبنى أبغض تجار المخدرات ، وأعلم أنه ما من دليل لإدانتك حتى الآن ، ولكننى ساعثر على هذا الدليل يوما .

قال (قاسم) ، دون أن يفارقه هدوءه :

— يلوح لى أنك قد أخطأت هدفك أيها العقيد .

أجاب (مجدى) في حدة :

— لا .. لم أفعل .

ثم دفعه في غلظة ، وأعادته إلى مقعده ، واستدار بهم بالانصراف ، إلا أنه لم يلبث أن التفت إليه ، قال في حدة :

— قل لى يا رجل : لقد بلغنى أن شحنه من الهيروين النقى ، تبلغ عشرة كيلوجرامات قد دخلت البلاد منذ أيام .. ما معلوماتك عنها ؟

قال (قاسم) في برود :

— لست أعلم عنها شيئا .

رمقه (مجدى) بنظرة نارية ، ثم قفز داخل سيارة الشرطة ، وانطلق بها مبتعدا ، وهنا هتف (جميل) في حدة :

— إنه ضابط مغرور .

ابتسم (قاسم) وقال :

— ولكنه أماننا كثيرا .

تطلع إليه (جميل) في دهشة ، وقال :

— كيف ؟

أجاب (قاسم) مبتسما :

— لقد أخبرنا بأمر الكيلوجرامات العشرة ، التى أدخلها (نديم فوزى) إلى البلاد ، وهذا يعنى أن الصفقة موجودة بالفعل .

ثم مد يده إلى (جميل) ، مستطردا :

— أرنى العينة .

ناوله (جميل) كيس المسحوق الصغير ، فمزق (قاسم) طرفه ، وسكب القليل منه على سبابة ، ثم نفقه بطرف لسانه في حذر ، وابتسم قائلا :

— إنه نوع نقى رائع .

ثم أعاد الكيس إلى (جميل) ، مستطردا :

— والسعر جيد جدا .

هتف (جميل) :

— بل هو ممتاز .. لقد أدهشنى للغاية .

ثم اعتقد حاجباه دون سبب واضح ، وهو يضيف :
— في رأي أنها صفقة رائعة يا زعيمى .. سنربح منها
مليون جنيه على الأقل .

أوما (قاسم) برأسه موافقا ، وقال :
— هذا صحيح .

ثم اعتدل قائلا في حسم :
— سنتم الصفقة الليلة .
هتف (جميل) في دهشة :
— الليلة؟!!

التقط (قاسم) نفسا من مبسم نرجيلته ، وقال :
— نعم .. الليلة .. ألم تقل إن (نديم) هذا يرغب في
إتمام الصفقة بسرعة .

غمغم (جميل) في تردد :
— نعم .. ولكن ..

قاطعته (قاسم) في حزم :
— لا يوجد لكن .. إنها صفقة رائعة ، ولن أضيع
الوقت ، خشية أن يجد (نديم) هذا مشتريا آخر .

هز (جميل) كتفيه مستسلما ، وقال :
— كما تأمر يا زعيمى .

ابتسم (قاسم) في سعادة ، لهذه الصفقة الجيدة ، نفث
دخان النرجيلة في الهواء ، ثم قال :

— اذهب إلى (نديم) هذا ، واخبره اننى أوافق على
إتمام الصفقة الليلة .

نهض (جميل) ، قائلا :

— سأفعل يا زعيمى .

لم يدرك لحظتها انه يلعب نفس اللعبة ..

لعبة (العقرب) ..

اطلقت (غادة) زفرة قوية ، من أعماق صدرها ، وهي
تدلف إلى مكتب (نديم) ، وهتفت وهي تلقى إليه حقيبة
صغيرة :

— ها هو ذا .

التقط (نديم) الحقيبة ، في حين القت هي جسدها على
أول مقعد صانفها ، وهي تقول في حدة :

— لم اشعر بمثل هذه التوتر في حياتى كلها .

فتح (نديم) الحقيبة ، وتطلع إلى اكياس المسحوق
الابيض داخلها ، وقال في اهتمام :

— اهو هيروين نقى ؟

أجابته في حدة :

— نعم .. من اتقى أنواع الهيروين ، ولكننى لم اتصور
نفسى ابدا في مثل هذا الموقف .. تصور أن اذهب إلى تاجر
مخدرات ، وابتاع نصف كيلو جرام من الهيروين !! .. ماذا
كان يمكن أن يحدث ، لو القى القبض على ، وأنا أحمل هذه
الحقيبة .

لم يجب على الفور ، وإنما أعاد إغلاق الحقيبة في إحكام
وقال :

— من حسن الحظ أن هذا لم يحدث .
هتفت معترضة :

— أهذا كل ما أمكنك قوله ؟

لمحت على شفثيه شبح ابتسامة ، لم يلبث أن تلاشى
بسرعة ، فاطلقت زفرة أخرى ، وغمفت في سخط :

— من أسوأ الأمور أن تعمل امرأة مع رجل ، لا يشعر أنها القانون
كذلك .

ثم اعتذرات وسألته :

— أين ستحتفظ بهذه الحقيبة ؟

أجابها في بساطة :

— هنا .

هتفت في دهشة :

— هنا؟! .. ماذا لو استغل (مجدى) الموقف ليوقع

بك ؟ .. اليس من المحتمل أن تجده يقتحم المكتب الآن ، على
رأس وحدة كاملة من وحدات إدارة مكافحة المخدرات ،
ويضبط الهيروين ، و ... ؟

قاطعها في هدوء :

— لن يفعل .

صاحت :

— عجباً!! .. هل تثق به إلى هذا الحد ؟

تطلع إليها لحظة في صمت ، وقال :

— (مجدى) رجل شريف ، وهو لن يوقع بى بتهمة
رائفة .

قالت في حدة :

— ولكنه مستعد لدفع نصف عمره للإيقاع بك .

اعتدل في مقعده ، وقال في هدوء :

— لأنه يتصور أن عملى فى شخصية (المعرب) يخالف
القانون .

حدقت فيه بدهشة ، ثم لم تلبث أن لوحت بكنها ، وقالت
في حدة :

— فليكن .. إنك تمنح (مجدى) ثقة لا يستحقها فى رأى ،
فانا لا أثق به قط .

تراجع (نديم) ، وقال فى بساطة :

— ولكنه لا يعلم بأمر وجود الهيروين هنا .

هتفت فى دهشة :

— ألم تخبرنى أنه يعلم كل تفاصيل الخطة ؟

لوح بكنه قائلاً :

— ليس كلها .

ابتسمت ابتسامة كبيرة ، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة
عالية ، وهى تقول :

— هذا هو السبب الحقيقى إذن .

لم تكذ تتم عبارتها حتى سمع الاثنان دقات هادئة على الباب ، فوضع (نديم) الحقيبة جانبه ، وقال :

— ادخل يا عم (أحمد) .

دخل عم (أحمد) إلى الحجره ، وقال في ضيق :

— لقد عاد ذلك الرجل يا أستاذ (نديم) ، وهو يطلب

مقابلتك .

قال (نديم) في هدوء :

— دعه يدخل .

تراجع عم (أحمد) ، وانشح في الطريق لـ (جميل) ، الذي اندفع داخل الحجره ، ومد يده عن آخرها ليصافح (نديم) ، وهو يقول :

— صباح الخير مرة أخرى يا (نديم) بك .. إننى ..

بتر عبارته في حدة ، عندما وقع بصره على (غادة) ، التي ابتسمت في سخرية ، فاعتقد حاجباه ، ارتسمت على ملامحه البغضاء ، وقال (نديم) في هدوء :

— لا تقلق .. إنها زميلتى الأنسة (غادة) .

غمغم (جميل) في حلق :

— لقد سبق أن التقينا .

ضمت (غادة) قبضتها ، وقالت في سخرية :

— وكان لقاء عنيفا .

انقبضت قبضتا (جميل) في تحفز ، وتقافز الغضب من عينيه ، فأسرع (نديم) يسأله :

— هل تحمل رد رئيسك .

التفت إليه (جميل) ، ولانت ملامحه بغتة ، وتراخت قبضته ، وأجاب :

— نعم .

أشار إليه (نديم) بالجلوس ، وهو يقول في بساطة :

— وما رده ؟

جلس (جميل) ، وأجاب في تعال :

— لقد وافق على إتمام الصفقة الليلة ، وسيدفع المبلغ

لدا ، في الساعة الـ ...

قاطعته (نديم) في هدوء :

— أترك لنا تحديد هذا .

اعتقد حاجبا (جميل) ، وهو يقول في حدة :

— لن يسمح الزعيم بهذا .. إنه لن يثق بكما مثلى ، و ..

قاطعته (نديم) مرة أخرى في هدوء :

— اطمئن .. أنت نفسك ستخبر الزعيم بالقرتبيات .

ولكن (جميل) لم يشعر بالارتياح ، وهو يتطلع إلى عيني

(نديم) ..

كان هناك نظرة غامضة مخيفة في عيني (نديم) ..

نظرة عقرب ..

٧ - الخدعة ..

ارتفع رفين الهاتف ، في متجر (قاسم عبيد) ، فالتقت
(قاسم) سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، قائلا :
لهفة :

— من المتحدث ؟

اتاه صوت هاديء رصين ، يقول :

— أنا (نديم) .. (نديم فوزى) .

ارتبك (قاسم) لحظة أمام المفاجأة ، ثم قال :

— وماذا تريد يا (نديم) بك ؟

أجابه (نديم) في هدوء :

— إننى اتحدث إليك بشأن صفقتنا الـ ...

قاطعته (قاسم) في حدة :

— انتظر يا (نديم) بك .

ساد الصمت تماما ، على الجانب الآخر للهاتف ،

فاستطرد في لهفة قلقة :

— ضع سماعة الهاتف يا (نديم) بك ، وسأتصل بك

أنا .

سمع صوت سماعة الهاتف توضع ، ثم أعقب هذا صوت

الازيز المتصل للهاتف ، فأعاد سماعته إلى موضعها بدور ،

وهو يغتمم :

— شديد الالتزام هو (نديم) هذا .



واتجه إلى حجرة مكتبه ، وفتح درج المكتب ، والتقط منه سماعة هاتف سرى ، وضغط أزرار رقم مكتب (نديم) ، وهو يتابع :

— من حسن الحظ اننى حصلت على رقم هاتف ذلك المحامى .

سمع صوت رفع سماعة الهاتف من الطرف الآخر ، فقال :
— مرحبا يا (نديم) بك .. معذرة .. خشيت أن يكون هذا الهاتف مراقبا ، ولهذا اتحدث إليك من هاتف آخر .

قال (نديم) بهدوئه المعهود :

— أنت واثق أن هذا الهاتف الآخر غير مراقب ؟

ابتسم (قاسم) ، وقال :

— بالتأكيد .. إنه خط خاص ، ولقد دفعت ثروة ، من أجل الحصول عليه .

ثم تلاشت ابتسامته ، وذابت مع جديته وقلقه ، وهو يستعرد :

— ولكن ماذا تريد بشأن الصفقة يا (نديم) بك ؟ ..

الم يصل (جميل) بعد ؟

أجابه (نديم) :

— لقد وصل ، ولكننى أريد إتمام الصفقة فى مكان آخر ، وبحضورك شخصيا .

عقد (قاسم) حاجبيه ، وامتلات نفسه بالشك ، وهو يجيب فى حذر :

— ولماذا حضورى شخصيا ؟

أجابه (نديم) فى برود ، لا يخلو من الصرامة :
— لاننى أعتبر نفسى زعيما ، ولست أحب التعامل شخصيا إلا مع الزعماء .. ثم إننا لم نلتق من قبل ، والمفروض أن يتعارف من يتعاملون معا ، فى مثل هذا النوع من البضائع .

بدت كلماته مقنعة إلى حد ما ، فغمغم (قاسم) :

— أنت على حق .

ثم عادت الريبة تملأ نفسه ، فاستطرد بنفس الحذر :
— ولكن أين هذا المكان ، الذى تريد أن نلتقى فيه ؟

أجابه (نديم) :

— فيلتى فى (الهرم) .

ردد (قاسم) فى دهشة وشك .

— فيلتك ؟!

قال (نديم) فى بساطة :

— نعم .. إنها مكان مأمون ، وهى ليست مسجلة باسمى ،

ثم إن لها قبوا سرى ، يصلح للاختباء ، إذا ما داهمتنا الشرطة ، كما يصلح لإخفاء البضاعة وقت اللزوم .

قال (قاسم) فى حذر :

— ومن أدراك أنها ليست مراقبة ؟

سأله (نديم) :

— أخبرنى أنت : لماذا لم تفترض أن هاتفى مراقب ؟

أجابه (قاسم) :

— لانك وجه جديد على الساحة ، ولا يوجد مبرر لمراقبة

هاتفك .

أنا صوت (نديم) باردا كالثلج ، وهو يقول :
 — وهذا هو الجواب نفسه ، بالنسبة لمراقبة الفيلا .
 حملت أسلاك الهاتف صمنا طويلا ، استغرق دقيقة كاملة
 من الطرفين ، قبل أن يقول (قاسم) في قلق :
 — لو أن (جميل) استطاع رؤية الفيلا أولا ، ف ..
 قاطعه (نديم) :
 — لقد رأها ، وما هو ذا يجلس معي ، غانا أتحدث إليك
 في وجوده .
 تمت (قاسم) في دهشة :
 — في وجوده ؟!
 ثم أضاف في دهاء :
 — دعنى أتحدث إليه إذن .
 سمع صوت (نديم) ، وهو يقول في بساطة :
 — إنه يريد أن يتحدث إليك يا (جميل) .
 مضت لحظة من الصمت ، ثم سمع صوت (جميل) يقول :
 — أنا (جميل) .
 ميز صوته في وضوح ، فسأله في همس :
 — قل لى : هل يجبرك هذا الرجل على التحدث إلى ، أو
 قول شيء يخالف الحقيقة ؟
 أنا صوت (جميل) ، يقول في هدوء :
 — لا .. لا توجد أية ضغوط .

كانت اللهجة التي يتحدث بها مطمئنة حقا ، مما بعث الكثير
 من الارتياح في نفس (قاسم) ، فاعتدل في مقعده ، وسأل
 مساعده في اهتمام :
 — أخبرنى يا (جميل) ، هل تظن أن (نديم فوزى) هذا
 أهل للثقة ؟
 سمع صوت (جميل) ، يقول في حماس :
 — إنه رجل شريف للغاية .
 سأله :
 — وماذا عن الفيلا ؟ .. هل يبدو لك المكان آمنا ؟
 وبنفس الحماس ، سمع (جميل) يقول :
 — نعم .. مضمون تماما .
 تنهد (قاسم) في ارتياح ، وقال :
 — فليكن .. دعنى أتحدث مع (نديم) بك .
 مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم سمع صوت (نديم)
 يقول :
 — حسنا .. هل اتخذت قرارك ؟
 سأله (قاسم) :
 — متى تحب إتمام الصفقة يا (نديم) بك ؟
 أجابه (نديم) :
 — في السابعة مساء .. مع غروب الشمس .. سأخبرك
 عنوان الفيلا .

استمع إليه (قاسم) في اهتمام ، ثم قال :
— فليكن يا (نديم) بك .. سأحضر في الموعد تماما ومعى
المبلغ .

انهى الاتصال ، وصمت لحظات ، وهو يحك ذقنه بسببته ،
ثم لم يلبث ان فتح درجا آخر في مكتبه ، والتقط منه مسدسا من
نوع (البريتا) ، جذب مشطه ، ليتأكد من حشوه ، ثم دسه
في جيبه ، متمتا :
— الحذر واجب ، في مثل هذه الامور .

وتحسس المسدس الراقد في جيب سترته ، وكأنها يحاول
ان يستمد منه شعورا بالامان ، إلا ان شيئا ما في اعماقه كان
يشعر بالقلق ..
وبالخوف ..

استنشقت (غادة) الهواء في عمق ، في شرفة فيلا
(الهرم) ، وأغلقت عينيها في استمتاع ، ثم التفتت إلى (نديم)
تقول :
— ما أمتع الهواء هنا !! الا يبدو لك المشهد والجور
رائعين ؟

قال في هدوء :

— إلى حد ما .

هتفت مستنكرة :

— إلى حد ما؟! .. ألم تعد تستمتع بالجمال؟! .. انظر

مرة أخرى يا رجل ، وحاول أن ...

قاطعها في ضجر :

— الوقت والظروف لا يناسبان هذا .

مطت شفيتها ، قائلة :

— ربما .

ثم زفرت في ضيق ، وسألته :

— كم بقى من الوقت ، قبل وصول (قاسم) ؟

تطلع إلى ساعته ، وأجاب :

— خمس دقائق فقط .. هذا لو انه ممن يلتزمون

بمواعيدهم .

تطلعت إلى الطريق ، وقالت :

— يبدو انه كذلك .. ها هو ذا .

نظر إلى حيث تتطلع هي ، ورأى سيارة (قاسم) تقترب



بسرعة ، فقال في اقتضاب ، حمل شيئا من الحماس الذى

يملا عروقه :

— عظيم .

واضافت (غادة) ، وهى تسبل جفنيها فى تراخ :
— كل شىء يسير على ما يرام .

توقفت سيارة (قاسم) (المرسيديس) الحمراء أمام
الفيلا ، وهبط هو منها فى حذر ، وتلفت حوله ، قبل ان يلتقط
حقييته ، ويتجه نحو الفيلا ، حيث استقبله (نديم) ، وصافحه
فى هدوء ، قائلا :

— اهلا بك فى الفيلا يا سيد (قاسم) .

ابتسم (قاسم) فى خبث ، هو يقول :

— اهلا بك أنت فى عالمنا يا (نديم) بك .

قاده (نديم) إلى ردهة الفيلا ، جلس الاثنان على مقعدين
مقابلين ، وأشعل (قاسم) سيجارته ، وهو يقول :

— هل البضاعة جاهزة ؟

أشار (نديم) إلى حقيبة كبيرة ، وقال :

— ها هى ذى .

هم (قاسم) بالنهوض من مقعده ، لإحضار الحقيبة ، ولكن
(نديم) سأله فى حزم :

— وماذا عن المال ؟

دفع (قاسم) حقييته إلى (نديم) ، وقال :

— ها هو ذا .

التقط (نديم) الحقيبة ، وفتحها ، وتطلع فى لا مبالاة إلى
أوراق النقد المكدسة داخلها ، ثم قال لـ (قاسم) :

— يمكنك أخذ الحقيبة .

نهض (قاسم) من مقعده ، وجذب إليه حقيبة (نديم) ،
ثم انعقد حاجباه ، وقال فى حدة :

— هذه الحقيقة خفيفة الوزن .. من المستحيل ان تحوى
الكمية كلها .

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

— بالتأكيد .. الكمية مقسمة على عدد من الحقائق ، كل
واحدة تحوى نصف كيلو جرام من المسحوق ، وستتبعك
عربة تحمل الحقائق كلها .. هذه عينيه فحسب .

قال (قاسم) فى حدة :

— لماذا لا احصل على الكمية كلها ؟

تراجع (نديم) فى مقعده ، وقال :

— لأنك مراقب ، كما سبق ان اخبرتنى يا (قاسم) ، ومن
الخطر ان تحمل معك جراما واحدا من (الهيروين) .

ثم اشار إليه ، مستطردا فى لهجة أمرة :

— افحص الحقيبة التى تحملها يا رجل .. اطمئن إلى
جودة البضاعة .

فتح (قاسم) الحقيبة ، وألقى نظرة سريعة على المسحوق ،
ثم أغلقها ، وابتسم قائلا :

— أنا اثق بك يا (نديم) بك .. وأهنتك على حذرك

الزائد هذا ، فهو أفضل جواز للمرور والبقاء فى عالمنا .

أوماً (نديم) برأسه فى وقار ، ثم سأله فى هدوء :

— الآن أصبح الهيروين ملكك — اليس كذلك ؟



ابتسم (قاسم) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

— بلى .. كل الهيروين ملكى .

لم يكذب يتم كلمته ، حتى برز (مجدى) من الحجرة المجاورة ،
وصوب إليه مسدسه ، وهو يقول فى شماتة ظانرة :

— سأعتبر هذا اعترافا .

واتسعت عينا (قاسم) فى رعب ..

٨ — العقارب ..

تجمدت اطراف (قاسم) ، واتسعت عيناه فى ذهول ،
وتنجر بركان من الغضب والسخط فى أعماقه ، وهو يحدق فى
وجه (مجدى) ومسدسه ، وكان يصرخ فى وجه (نديم) ،
ويتهمه بخيانتة وخذاعه ، إلا أنه فوجيء بـ (نديم) يهب من
مقعده ، ويهتف فى غضب :

— لقد خدعتنى يا (قاسم) .. أنت أوقعتنى فى قبضة
الشرطة .

التفت إليه (قاسم) فى ذهول ، وهو يهتف :

— خدعتك !؟ .. أنا !؟

ولكن (مجدى) ابتسم فى سخرية ، وقال :

— بل خدعه هاتفه السرى يا (نديم) .. لقد تصور أنه
آمن من المراقبة ، فى حين كنت أنا أراقبه ، وعلمت منه موعد
ومكان صفقتكما .

صاح (نديم) فى وجه (قاسم) :

— أرايت أيها الغبى .. أرايت ما فعله بنا غرورك .

غمغم (قاسم) فى ذهول :

— أنا .. أنا ..

إلا أنه لم يلبث أن دفع حقيبة الهيروين بعيدا عن صدره ،
وهو يستطرد فى ارتياح :

— لا صلة لى بهذه الحقيبة او محتوياتها .. إنها حقيبتة .

قال (مجدى) فى صرامة :

— البصمات فوقها ستحدد صاحبها يا (قاسم) .

اتسعت عينا (قاسم) فى رعب ، وفرد راحتيه أمام وجهه ، وراح يحدق فيهما فى حنق ، ثم لم يلبث أن أخفى بهما وجهه ، وهو يهتف فى مرارة :

— اللعنة !

مزق صوت (مجدى) البقية الباقية من أعصابه ، وهو يقول فى شماتة :

— لقد وقعت يا (قاسم) .. انتهيت .. ستبقى ما تبقى من عمرك خلف القضبان .. أو يلتف حبل المشنقة حول عنقك .

تحسس (قاسم) عنقه فى رعب هائل ، فى حين قال (نديم) فى حدة ، لا تتفق أبدا وشخصيته الهادئة الرصينة :

— إن أسمح بهذا أبدا .

التفت إليه (مجدى) ، وقال :

— لقد انتهيت أنت أيضا يا (نديم) .. لماذا اخترت هذا الطريق الشائك ؟ .. كان من الممكن أن تحمل الآن رتبة المقدم ، فى صفوف الشرطة ، لولا ...

قاطعه (نديم) فجأة فى حزم :

— كم تطلب يا (مجدى) ؟

سأله (مجدى) فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حدة :

— أنت تعلم أن والدى واحد من أكبر مليونيرات (مصر) ، وهو لن يسمح أبدا بأن يلقي ابنه الوحيد فى غياهب السجون ، وأنا واثق أنه سيمنحك ثروة ضخمة ، لو أنك تعاميت عما رأيته الآن .. ما رأيك ؟

بدا التردد على وجه (مجدى) ، فانتعش أمل محتضر فى أعماق (قاسم) ، وقال فى لهفة :

— أنا أيضا مستعد لمنحك ما تطلب ، مقابل هذا .. ما رأيك بربيع مليون .. نصف مليون .. ماذا تطلب بالضبط ؟ أمسك (مجدى) ذقنه بسبابته وإيهامه ، وبدا وكأنه يفكر جديا فى هذا العرض ، إلا أنه لم يلبث أن هز رأسه فى شدة ، واستعاد صرامته ، وهو يقول :

— لا .. لا يمكننى قبول مثل هذه العروض .

قال (نديم) :

— لماذا ؟ .. إنك لن تربح من عملك فى الشرطة ، حتى نهاية عمرك ، ربع هذا المبلغ .

ثم أضاف فى صرامة :

— ثم إننا نستطيع تدمير مستقبلك ، حتى ونحن داخل السجن .

بدا القلق والتردد على وجه (مجدى) ، وقال :

— تدمير مستقبلى ؟! .. ما من تاجر مخدرات يمكنه تدمير مستقبل رجل شرطة .

وتضاعف القلق في ملامحه ، وهو يستطرد :
— اليس كذلك ؟

لاحت في قلبه بادرة أمل لـ (قاسم) ، فاندفع يقول :
— من قال هذا ؟ .. بالتأكيد يمكننا تدمير مستقبل أي ضابط شرطة .

هز (مجدى) رأسه في قلق ، وقال :
— لم يحدث هذا من قبل .
هتف (قاسم) :

— بل حدث .. أنت تعرف قضية (إبراهيم علوان) ..
لقد كنت أحد شهودها .. فلتعلم إذن أننا نحن لفتنا له هذه التهمة .

خفض (مجدى) مسدسه ، وهو يهتف :
— أنتم !؟

أجابه (قاسم) في حدة :

— نعم .. نحن .. لقد رشونا أمين مخازن المضبوطات ،
وجعلناه يوقع بالعقيد (إبراهيم) .

بدا (مجدى) حائرا متوترا بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن
رفع مسدسه مرة أخرى في وجه (قاسم) ، وقال :
— لا .. لست أصدق هذا .

شعر (قاسم) أن فرصته الوحيدة في النجاة هي إرهاب
(مجدى) ، فقال في حزم :

— إن لدى الدليل .

عقد (مجدى) حاجبيه في شدة ، وقال :
— أنت كاذب .

وهنا أشار (نديم) إلى (قاسم) في حزم ، وقال لـ (مجدى) :
— ماذا ستفعل إذن ، لو رأيت الدليل على أن (قاسم)
استطاع تدمير مستقبل (إبراهيم علوان) هذا ؟ .. هل تكفى
بالمال ، وتركنا نذهب إلى حال سبيلنا .

أجابه (مجدى) في حسم :

— لن يكون أمامي سوى هذا .

تهللت أسارير (قاسم) ، وهتف :

— لا بأس .

ثم دس يده في جيب سرواله ، وأخرج منه شريطا صغيرا ،
ناولته إلى (مجدى) قائلا :
— ها هو ذا الدليل .

المتقط (مجدى) الشريط ، وقلبه بين أصابعه ، قائلا :
— ما هذا بالضبط ؟

أجابه (قاسم) :

— شريط فيديو من مقياس ثمانية مليمترات الجديد(*) ،
ستجد فوقه تسجيلا بالصوت والصورة ، لـ (درويش) ،
أمين مخازن المضبوطات ، بمديرية أمن (القاهرة) ، وهو

(*) الفيديو (٨ مم) : نوع جديد من أنظمة تسجيل واستعادة

(الفيديو) ، تم ابتكاره عام ١٩٨٠م ، وهو أصغر الحجم ، يستخدم شرائط

مغناطيسية ، في نفس حجم الشرائط المستخدمة في أجهزة التسجيل الصوتية

(الريكورد) ، ويعتبر العلماء الصورة التي ستكون عليها كل أجهزة الفيديو

في المستقبل .

يروى ما فعله بالهروين ، والوسيلة التي الصق بها التهمة بالعقيد (إبراهيم) ، ثم وهو يتسلم الجزء الثانى من الرشوة .. لقد كنت احتفظ بهذا الشريط ، لضمان صمت (درويش) ، ولكنه حقق فائدة اخرى .

ابتسم (مجدى) ، وقال وهو يدس الشريط فى جيبه :
— بالتاكيد يا (قاسم) .. لقد حقق فائدة لن نتصورها أبدا .

ثم التفت إلى (نديم) ، وقال :
— اليس كذلك يا صديقى ؟

تفجر الدهول فى أعماق (قاسم) ، مختلطا بغضب لا حدود له ، عندما استعاد (نديم) كل هدوئه ، وجلس فى بساطة ، قائلا :

— بالتاكيد يا عزيزى (مجدى) .. لقد نجحت اللعبة .

ردد (قاسم) فى دهول :
— اللعبة ؟!

ثم انهار على مقعده ، مستطردا :

— إذن نكل هذا مجرد لعبة ؟! .. خدعة للحصول على الشريط ؟

أجابه (نديم) فى بساطة :
— هذا صحيح .

راح (قاسم) ينقل بصره بين وجهى (نديم) و (مجدى) فى دهول ، ثم هتف :

— ولكن كيف ؟! .. لقد تحربت عنك جيدا !!

أجابه (مجدى) :

— كل المعلومات التى حصلت عليها ، بشأن (نديم) ، سليمة .. فلقد فصل من خدمة الشرطة بالفعل .
لم يستطع (قاسم) استيعاب هذه النقطة فى سهولة ، فهتف :

— ولكن ماذا عن (جميل) ؟! .. لقد أخبرنى بنفسه ان الشبلا آمنة ، وهو شديد الدقة فى مثل هذه الأمور ، و ... قاطعه (نديم) فى هدوء :

— هذا لو أنه فعل .. الواقع أننا قد أفقدنا مساعدك (جميل) وعيه ، عندما جاء لزيارتنا ، فى المرة الثانية ، وتم نقله مباشرة إلى زنزانة خاصة ، فى قبو مديرية الأمن ، مع (درويش) .

هتف (قاسم) :

— مستحيل !! .. لقد تحدثت إليه بنفسى هاتنيا .

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

— هنا يأتى دور التكنولوجيا يا رجل ، فعندما جاء (جميل) إلى مكتبى ، فى المرة الاولى ، سجلت زميلتى (غادة) كل حديثى معه ، وبعدها أضافت التسجيل إلى الكمبيوتر ، ولقنته المعلومات الخاصة بما ننتوى فعله ، وعندما تحدثت أنت ، وطلبت التحدث مع (جميل) ، أوصلت (غادة) الهاتف بالكمبيوتر ، الذى أنتقى من عبارات (جميل) المسجلة ما يتوافق مع خطتنا ، ونقله إليك ، فتصورت أنت أنك تتحدث

٩ - الختام ..

من المؤكد أن (قاسم) لم يحصل على لقب زعيم تجار المخدرات عبثا ، فلقد انتزع مسدسه في سرعة ، وأطلق منه النار نحو (مجدى) ، قبل أن يتخذ هذا الأخير ما يلزم ، لصد الهجوم ..

وأصابت رصاصة (قاسم) ذراع (مجدى) ، الذى اطلق



صرخة ألم مكتومة ، لم تلبث أن تحولت إلى سباب ساخط ، عندما سقط مسدسه من يده ..

وبحركة حادة سريعة ، قفز (قاسم) إلى الخلف ، وصوب مسدسه إلى (نديم) و (مجدى) ، وهو يهتف :

— انتهت اللعبة يا سادة .. ولغير صالحكما .

إلى مساعدك ، واطمأن قلبك بشأن الحضور إلى هنا ، فوقعت في الفخ كالغر الساذج .

غمغم (قاسم) في مرارة :

— نعم .. كالغر الساذج .

ونجاة وثبت يده إلى سترته ، وانتزعت مسدسه ، وهو يقول في غضب :

— ولكن هذا لن يدوم طويلا .

وأطلق النار ..

* * *

لم يبد الخوف على وجه (نديم) ، الذى ظل هادئا ، وهو
يجلس على مقعده ، قائلا :

— أتصور هذا حقا ؟

اجابه (قاسم) فى شراسة :

— نعم .. أتصوره .. لقد خدعتمانى للحصول على
الشريط ، ولكننى سأستعيده من بين أشلائكما ، قبل أن
أنصرف من هنا .

قال (نديم) فى بساطة :

— اتظن أننا هنا وحدنا ؟

أطلق (قاسم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— نعم .. اظن هذا ، فمن الواضح انكما قد فعلتما كل
هذا وحدكما ، دون أوراق قانونية ، أو خطة مدروسة .

عصر (مجدى) شفتيه ؛ ليكتم آلام جرحه ، وهو يقول :

— خطأ أيها الوغد .. إننا هنا بإذن خاص من النواب
العام .. وكل ما حدث هنا مسجل ، بالصوت والصورة ،
تسجيلا قانونيا سليما ، سيلقى بك خلف القضبان إلى الأبد .

تلقت (قاسم) حوله فى انزعاج ، وهتف :

— أنت كاذب .

ثم جذب إبرة مسدسه فى شراسة ، وهو يصوبه إلى
(مجدى) ، صارخا :

— أنتما وحدكما هنا .. اعلم انكما كذلك .

اتبعث من خلفه نجاة صوتا أنثويا ساخرا ، يقول :

— إذن فلست من أنصار المساواة ، بين الرجل والمرأة
يا صاح .

استدار (قاسم) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، ولكن
قدم (غادة) استقبلته وأطاحت بمسدسه ، ثم تبعنها
قبضتها ، التى غاصت فى معدته ، وبطلتنا تقول ساخرة :

— ما رأيك يا زعيم أهل السم ؟ .. هل تؤلك قبضتى ؟

انثنى (قاسم) من قوة الضربة ، وسقط أرضا ، وانزلق
جسده فوق الأرض الناعمة لمترين كاملين ، فى حين اعتدلت
(غادة) ، وقالت :

— لم أسمع جوابك بعد .

ولكن (قاسم) كان قد سقط إلى جوار مسدسه ، فأصرع
يلتقطه هاتفا فى غضب هادر ، وثورة عارمة :

— ها هو ذا أيتها المغرورة .

وانطلقت رصاصة ..

كل شيء حدث فى سرعة مدهشة ..

التقط (قاسم) مسدسه ، صوبه إلى (غادة) :

وضغطت يده الزناد ..

ولكن هناك سطر منقود ، بين السطرين السابقين ..

وحدث منقود ..

فما بين تصويبه للمسدس ، وضغطه للزناد ، تحرك

(نديم) ..

كانت قفزته رشيقه ، أنيقة ، مرنة ، انزلق فيها جسده بدوره على الأرض الناعمة ، حتى بلغ مسدس (مجدى) ، فالتقطه ، وأطلق منه النار في سرعة مذهلة ، نحو (قاسم) ..

وأصاب الرصاصة (قاسم) في كتفه ..

وانطلقت من أعماقه صرخة الم ..

ومع صرخته ، انطلقت الرصاصة ، ولكنها أخطت طريقها ..

ولم تصب (غادة) ..

وبحركة سريعة ، قفزت (غادة) نحو (قاسم) ، وركلته بحذائها في وجهه ، وهى تقول :

— إنك وغد بحق .

وارتطم رأس (قاسم) بالحائط خلفه ، وكانت الضربة قوية ، حتى أن عينيه قد دارتا في محجريهما ..

ثم سقط فاقد الوعي ..

ونفض (نديم) ، وهو يسرع نحو (مجدى) ، قائلاً :

— أنت بخير ؟

مط (مجدى) شفثيه ، وقال :

— إنه لا يحسن التصويب .

ثم أضاف فى حدة :

— اتعلم أننى أستطيع إلقاء القبض عليك ، لإطلاقك النار من مسدس ، وأنت لا تحمل رخصة حمل سلاح ؟

أطلقت (غادة) ضحكة عالية ، وقالت :

— يا إلهى !! .. (مجدى) هو (مجدى) .. لا يتغير أبدا .

اعتقل (مجدى) جالسا ، وهو يمسك جرحه ، قائلاً :

— لست أميل إلى التغيير .

ثم تطلع إلى (نديم) ، وأضاف :

— ولكن خطتك كانت عبقرية بالفعل يا (نديم) .

جلس (نديم) إلى جواره ، وقال فى بساطة :

— إنها خطة (العقرب) .. لا خطتى أنا ، وإن كان قد

استعان بى لتنفيذها .

عقد (مجدى) حاجبيه فى ضيق ، وقال :

— أما زلت تصر على مواصلة هذه اللعبة ؟

قال (نديم) فى هدوء :

— أية لعبة تقصد يا عزيزى ؟

هتف (مجدى) فى حدة :

— اللعنة !

ثم لوح بسبابته فى وجه (نديم) ، مستطردا :

— اسمع يا (نديم) .. صحيح أننى قد قبلت العمل مع

(العقرب) هذه المرة ، ولكن هذا لا يعنى أننى أوافق على

أسلوبه ، ولتعلم أننى ..

قاطعته (غادة) :

— ستوقع به يوما متلبسا .. أليس كذلك ؟ .. لقد سنبت

سماع هذه العبارة يا عزيزى (مجدى) .. الاتميل إلى التغيير فيها أيضا ؟

عقد (مجدى) حاجبيه فى غضب ، وأشاح بوجهه ، قائلا فى سخط :

— سيأتى ذلك اليوم حتما .. أعلم أنه سيأتى ..

* * *

انصرف كل رجال الشرطة من فيلا (الهرم) ، بعد أن اتوا استجواباتهم ، وضمدوا جراح (مجدى) ، فتنهدت (غادة) ، وقالت وهى تلقى جسدها فوق مقعد وثير فى شرفة الفيلا :

— يا إلهى !.. لقد انتهت هذه القضية بسرعة .

غمغم (نديم) فى هدوء :

— هذا صحيح .

استنشقت الهواء فى عمق ، ثم التفتت إليه ، تسأله بغتة :

— ولكن أخبرنى .. كيف علمت أن (قاسم) هو من وراء

كل هذا ؟ .. وكيف أدركت أنه يحتفظ بدليل يدين (درويش) ؟

أجابها فى استرخاء :

— معرفتى أن (قاسم) وراء كل هذا كان مجرد رمية من

غير رام ، وفقنى إليها المولى (عز وجل) ، فلقد علمت من

التحريات أنه زعيم تجار السموم ، وقدرت أنه من الطبيعى

أن يكون الزعيم نفسه وراء مثل هذا العمل .. أما بالنسبة

لوجود الدليل ، فخبيرتى فى التعامل مع هؤلاء المجرمين علمتى

أن الكبار منهم يحبون أن يحتفظون بالخيوط فى أيديهم دائما ، ولما كان من المحتمل أن ينقلب عليهم (درويش) ، ويفضح سرهم ، فمن الطبيعى أن يحتفظوا بدليل يدينه ، ويلزمه بالصمت .

ابتسمت وهى تقول :

— أنت داهية .

غمغم :

— شكرا لك .

ران عليها الصمت لحظة أخرى ، ثم سألته :

— هذه الفيلا ملك لوالدك .. اليس كذلك ؟

تمتم فى تراخ :

— بلى .

قالت :

— هل وجودها هنا يرتبط بـ ..

قاطعها فى حزم :

— أصمتى يا (غادة) .

هتفت فى دهشة :

— أصمت ؟!

لوح بكه أمامه ، وقال :

— ألا تلاحظين المشهد الرائع ؟! .. إنه يصنع مع الجو

مزيجا مدهشا .

هتفت فى دهشة :

— أنت الذى يلاحظ هذا ، بعد كل ما حدث ، و ..

قاطعها :

— هل فقدت القدرة على الاستمتاع بالجمال !!

صاحت مستنكرة :

— انا !!

ثم اشاحت بوجهها ، وعقدت حاجبيها وساعديها ،
مستطرده في حلق :

— يا للرجال !

تطلع إليها من بين جفنيه المسبلين ، وارتسمت على وجهه
ابتسامة ارتياح ، لم تلبث ان ذابت على شفثيه ، وهو يتنهد
في ارتياح ..

لقد نجح في تحطيم واحد من زعماء تلك المملكة ، التي بحلم
دائما بالقضاء عليها تماما ..

مملكة السموم البيضاء ..

مملكة الشر .

[تمت بحمد الله]



حيث يبدأ العدم (دراسة)

« اختفى المسرب التاسع عشر ، بقيادة الملازم (تشارلز
تايلور) ، دون سابق إنذار ، ولم يتم العثور على جناح
طائرة واحدة منه .. »

كانت هذه هي الإشارة ، التي تلقها قائد القوات الجوية
الأمريكية ، من قاعدة (فورت لاديرديل) في (فلوريدا) ، في
الخامس من ديسمبر عام ١٩٤٥ م ، بعد انتهاء الحرب العالمية
الثانية بقليل ، والتي كانت بمثابة قنبلة ذرية ثالثة ، يفوق
تأثيرها ، في نظر القيادة الأمريكية ، والعالم فيما بعد ، تأثير
قنبلتى (هيروشيما) و (ناجازاكي) ..

لقد كانت إشارة البدء ، لواحد من أعقد واعظم الغاز
العصر ، وكل العصور السابقة ..

لفز مثلث (برمودا) ..

. ففي ذلك اليوم : ٥ من ديسمبر ١٩٤٥ ، انطلق مسرب
من الطائرات البحرية ، بقيادة (تشارلز تايلور) ، في رحلة
تدريبية ، وكل طائرة مجهزة بالقنابل ، ومملوءة بوقود يكتفى

طيرانها لآلاف الكيلومترات ، وكانت الرياح شمالية شرقية معتدلة ، ودرجة الحرارة مائة ، وكل الأحوال الجوية والمناخية مثالية للطيران ..

وفي الثانية تماما ، بدأت الرحلة التدريجية ، وراح (تشارلز) يرسل ملاحظاته لاسكيا ، وطائرات سربه تتدرب على الانقضاض والقصف ، كما يحدث في كل مرة ، وبدا كل شيء عاديا مألوفاً ..

وفجأة .. في تمام الثالثة والربع ، تلقى برج المراقبة رسالة مضطربة من (تشارلز تايلور) ، يقول فيها :

— هناك شيء عجيب يحدث .. لم نعد على ما يرام .. لا يمكننا حتى أن نرى الأرض .

وعندما سأله مراقبو الطيران عما يعنيه بهذا ، اجاب في نوتز :

— لست ادري .. المحيط لا يبدو كما اعتدنا ان نراه .. وكل شيء تعطل .. البوصلة والدفة .. كل شيء .

وبعدها انقطع الاتصال بسرب الرحلة التاسعة عشرة تماما ..

وتعجرت حالة ذعر عامة ، في كل أفرع الجيش وقياداته ، فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية منذ شهور قليلة ، وبدا الجميع استرخاءهم ، وبدا المستقبل مشرقاً ، ثم جاء هذا الاختفاء الغامض ليقطب كل شيء رأساً على عقب ..

واصدر قائد القوات الجوية أوامره بضرورة البحث عن هذا السرب المفقود ، واستعادته بأي ثمن ..

وانطلقت السفينة الحربية (مارتن ماريز) ؛ لإتقاذ السرب المفقود ، ولكن ..

(مارتن ماريز) اختفت بدورها ..

تلاشت ، كما لو أن البحر قد انشق وبلعها ..

بل لم يبد هذا الاحتمال حتى منطقياً ؛ فلم تسفر عمليات البحث عن العثور على ادنى اثر لطاقمها ، او حطام وركام ، او حتى بقعة زيت ..

لقد تبخرت السفينة ، كما تبخر قبلها سرب (تشارلز تايلور) ..

ذهبوا جميعاً إلى العدم ، في قلب مثلث الشيطان ..

وبدأت اسطورة مثلث (برمودا) ..

ومثلث (برمودا) هذا هو مثلث وهمي يقع في غرب الاطلنطي ، ويمتد من (برمودا) شمالاً ، إلى (فلوريدا) جنوباً ، ويتجه شرقاً عبر جزر (البهاما) ، وغرباً حتى خط طول ٥٤° ، ثم يعود إلى (برمودا) ..

والواقع ان حوادث الاختفاء في مثلث (برمودا) لم تبدأ بحادثة سرب (تشارلز تايلور) ، وإنما هي حوادث قديمة ، يرجع تاريخ بعضها إلى القرون الوسطى ، ولكن قلة السجلات في هذا العصر ، وقلة عدد الرحلات البحرية اعطتنا انطباعاً بأن لفظ (برمودا) لم يبدأ إلا في عصرنا هذا ، في حين أشار (كريستوفر كولمبس) إلى واقعة اختفاء لواحدة من سفنه هناك ..

وبعد واقعة (تشارلز تايلور) ، وسريه ، بدأت حوادث اختفاء أكثر إثارة ، أشهرها اختفاء سفينة الشحن (مارين سيلفركوين) ، التي يبلغ طولها ١٤١ مترا ، والياخزة (سايكلوت) ، التي اختفت بكل ركابها ، البالغ عددهم ٣٠٩ راكب ، وحمولتها البالغة تسعة عشر ألف طن ..

وفي عام ١٩٤٨م ، كانت طائرة جديدة من طراز (ستارتايجر) تعبر منطقة الثلث الغامض ، وعلى متنها طاقمها المكون من ستة أفراد ، وخمس وعشرين راكبا ، وكان كل شيء يسير على ما يرام .. ثم اختفت (ستارتايجر) بفتة ..

وكانت هذه الحالة أكثر مدعاة للدهشة ؛ فلم ترسل (ستارتايجر) إشارة استغاثة واحدة ، بل كانت آخر رسالة واردة منها ، قبيل اختفائها بدقائق ، تؤكد أن الطقس جيد ، وكل شيء يسير على ما يرام .. وتولت حوادث اختفاء الطائرات والسفن في مثلث (برمودا) ..

وبدأت عمليات البحث العلمي ، والسعى لإيجاد تفسير علمي منطقي لما يحدث .. وخرجت عشرات النظريات ..

عالم بريطاني حاول تفسير هذا بقوة التيارات البحرية في منطقة مثلث (برمودا) ، وقال إن هذا التيارات يمكن أن تصنع دوامة هائلة ، ذات قوة امتصاص رهيبية ، تبتلع كل ما يقترب منها من السفن ، وكل ما يطير فوقها من طائرات ..

ولكن احدا لم يهتم بهذه النظرية ؛ إذ انها لم تعط تفسيراً مناسباً لحوادث الاختفاء المبالغ فيها ، ولا حتى للظواهر المصاحبة لها ، كما ان احدا لم يسجل وجود تخلخل هوائي ، يشير إلى وجود هذه الدوامة المزعومة ..

ثم جاء الأمريكي (ولبرت ب. سميث) ، وقال إنه توجد مناطق تتلاشى فيها الجاذبية على كوكب الأرض ، مما يؤدي إلى اضطراب البوصلة ، واجهزة الطيران ، ولكن هذا ايضا لم يفسر الامر على نحو جيد ، مما جعل أحد العلماء يشير إلى نبوءة قديمة للعالم النفساني ، والمتنبئ الشهير (إدجار كاييس) ، الذي توفي عام ١٩٤٤م ، قبيل كشف واختراع اشعة الليزر ..

ففي عام ١٩٣٧م ، اشار (كاييس) في اثناء سقوط في غيبوبة عميقة ، إلى ان سكان قارة (اطلنطس) القديمة استخدموا الكريستال والياقوت ، لتوليد واستخراج الطاقة ، وان جزء كبيرا من هذه الطاقة قد غرق مع قارتهم ، وأنه سيبقى في الجزء الغربي من المحيط الاطلنطي ، ليفسد البوصلة ، وكل المعدات الحديثة ، فوق نقطة غرقه ..

ولم يكن أي مخلوق يعلم ، حتى هذا التاريخ ، انه من الممكن توليد طاقة الليزر من الكريستال أو الياقوت ، أو عبرهما ..

وهنا برز احتمال آخر ..

احتمال ان تكون (اطلنطس) هي السر ..

ولا في هذا الاحتمال قبولاً من ذوى الخيال ، في حين استنكره كل العلماء ، وكل وارسى غموض مثلث (برمودا) .. ثم تجرت أكبر قبلة في الموضوع ..

ففى حديث تليفزيونى عام ١٩٧٤ ، قال احد مراقبى المطار ، ممن عاصروا حادثة (تشارلز تايلور) أن القوات الجوية قد اخفت عبارة أرسلها (تايلور) نفسه ، قبل اختفاء سريه تماماً ..

« لا تتبعونا .. يبدو أنهم من الفضاء الخارجى » ..

وكان هذا يقلب كل الأمور بالفعل ، ويضع احتمالاً جديداً ، لم يناقشه أحد من قبل ..

احتمال أن تكون هذه الاختفاءات عمليات اختطاف ، من قبل مخلوقات من كوكب آخر ..

ومرة أخرى وجدت هذه الفكرة مؤيديها ومعارضيه ، ولكن احداً من مسئولى القوات الجوية لم ينكر أو يستنكر هذه العبارة ، التى نسبت إلى (تشارلز تايلور) ، مما أيد موقف من يبيلون إلى نظرية الاختطاف من الفضاء الخارجى ..

ولكن ماذا عن الذين نجوا من مثلث الرعب ؟ ..

ماذا رأوا ؟ ..

بم شعروا ؟ ..

ماذا قالوا ؟ ..

القبطان (هنرى) ملاح قديم ، فى الخامسة والخمسين من عمره ، قوى الجسد ، مشوق القوام ، يمتلك شركة للإنقاذ البحرى ، ويروى أنه كان يجر بسفينته يوماً باخرة كبيرة ، عندما أطاحت به فجأة سحابة كثيفة للغاية من الضباب ، وخيل له ولبحارته أن الأفق قد اختفى ، وأن السماء قد اختلطت بالماء ، بحيث لم تعد هناك اتجاهات ، وفقدت البوصلة وعيها ، وراحت تدور باتجاه عقارب الساعة فى جنون ، وكانت المولدات كلها تعمل بأكثر طاقتها ، ولكنها لم تكن تعطى أية كهرباء ، واختفت الباخرة التى يجرونها تماماً ، وإن بدا الحبل المربوط إليها مشدوداً عن آخره ، وهناك مادة كالحليب تحيط بكل شيء ..

ثم اختفى كل هذا بغتة ، وبدأ الأفق أخضر اللون لحظات ، وبعدها عاد كل شيء إلى طبيعته ..

ما الذى يعنيه هذا إذن ؟ ..

إن حادثة القبطان (هنرى) مجرد مثال ، وإن اتفقت أقواله مع أقوال وأوصاف العديدين ، ممن نجوا من هذا الرعب ، وممن شاء لهم القدر ألا يتحولوا إلى رقم آخر ، فى سجل المفقودين ، والضائعين فى هذا العدم ..

وما زال مثلث (برمودا) يحمل كل الغموض ..

حيث تختفي الطائرات ، والسفن ..

حيث يتلاشى البشر ..

وحيث يبدأ العدم ..

قصة العدم



الفارس

من بين
الكثير من القصص والروايات
التي قرأتها هناك بعض من أعالي
بنزكري التي لا يبرحها ، ومنها
قلت أحسنها حين قرأتها لولا
حين تفتي حيناً كثيراً ، فتاورت
والله ، ولولا أتي لي الوقت
وأنا على ما كنت في ذلك
لقد سررت من السخ الذي
لبيك أن تنساه
الذي
١٩٥٥

١ - المعركة ..

.. الصحراء

اسم قد يعنى الخوف والرهبه ..

قد يعنى الضياع والعطش والدمار ..

أو الموت ..

الصحراء التى تمتد امام ناظرها إلى ما لا نهاية ، صفراء
في لون الذهب .. ملتهبه كشمس الصيف .. صامتة
كالقبر ..

هكذا بدا المشهد ..

وهكذا تبدا القصة ..

صحراء ممتدة إلى ما لا نهاية ..

ثم يظهر هو عند الأفق ..

الفرس ..

فرس بدوى ، يمتطى جوادا من جواد العرب الأصيلة ،
ويحمل بندقية عريقة ، وينطلق عبر الصحراء ، قاطعا صمتها
.. ممزقا سكونها .. مثيرا رمالها ..

وكان يحيط رأسه ونصف وجهه السفلى بلثام بدائى ،
وكانها يقى أنفاسه وصدره الرمال ، أو يحيط نفسه بهالة
غريزية من الغموض ، احاطت بأجداده منذ زمن طويل ..

كان عربيا ..

لا يهم من اى بلد كان ..

إنه عربى ..

عربى فحسب ..

وهذا يكنيه ..

وفي حزم ، جذب هذا البدوى العربى عنان جواده ، وصاح
به يدعوه إلى التوقف في قلب الصحراء ، فاستجاب له الجواد
الأصيل ، وتباطأ حتى توقف تماما ، وراح يضرب رمال
الصحراء بقوائمه في رفق ، في حين مسح راحبه فيضاً من
العرق ، تسال من خلف عمامته ، ليغرق جبهته ، ثم رفع رأسه
إلى السماء ، يلتقى نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى
توسط كبدها ، وغمغم :

— لقد قطعنا شوطا طويلا هذه المرة .. فلقد غادرنا
الواحة قبيل شروق الشمس .

قالها بصيغة الجمع ، وكأنها يعتبر جواده رفيقا له في
رحلته ، ثم التقط زمزية بدائية من الجلد ، ونزع سدادتها ،
ورفعها إلى فمه ليروى ظمأه ، ثم هبط عن صهوة جواده ،
وملا يديه بالماء ، وأدناها من فم الجواد ، الذى راح يلتقط
الماء بلسانه في لهفة ، فابتسم البدوى ابتسامة مشفقة ،
أخفاها لثامه ، وهو يغمغم :

— ارتو يا رفيقى ، فما زال امامنا طريق طويل ، قبل ان
تبلغ واحة الأعمام .

ربت على عنق الجواد مشجعا ، وامسك بطرف سرجه ،
 وهم بالوثب على متنه ، عندما تناهى إلى اذنيه ذلك الازير ..
 اذير الطائرات المتصارعة المتقاتلة ..
 ورفع البدوى عينيه إلى السماء ..

وانعقد حاجباه في ضيق ، عندما وقع بصره على ذلك
 المشهد ، الذى تكرر امامه اكثر من مرة ، منذ بدأت تلك
 الحرب ..

الحرب العالمية الثانية ..

مشد قتال الطائرات ..

وامتلأت نفسه بالحنق والسخط ..

لماذا يتقاتلان فوق ارضه ، وفي سمائه !!؟ ..

لماذا يتخذان من وطنه ساحة لمعركتهما !!؟ ..

الا يكفيهما ان فريقا منهما يستعمر ارضه ووطنه منذ
 زمن ؟ ..

ترك غضبه ومقته يتصارعان في اعماقه ، وهو يتابع القتال
 المحتدم بين السحب ..

كانت هناك طائرات فضية ، واخرى سوداء داكنة ،
 والاثنتان يتحاوران ، وتتاوران في مهارة واضحة ..



ثم انبعث خيط من الدخان ، من ذيل إحدى الطائرات
 الفضية ، وراحت تهوى نحو الصحراء ..

وانقبض قلبه ..

ستسقط الطائرة في صحرائه ...

في مملكته ..

تابع سقوط الطائرة ببصره ، وقد تحول خيط الدخان في
 مؤخرتها إلى لسان من اللهب ، امتزج بسحابة سوداء ،
 والطائرة تقترب بسرعة كبيرة من الارض ..

ثم انفصل جسم من وسط الطائرة ، وارتفع عاليا ، قبل
 ان يتحول إلى مظلة كبيرة ، تحمل مقعدا ، يستقر فوقه
 جسد بشرى ..

وارتطبت الطائرة بالرمال في قوة ..

وانفجرت ..

وفي لهفة ، لم يدر لها سببا ، تركز بصر البدوى على المقعد
ذى المظلة ، الذى يبدو أن صاحبه لم ينجح فى إطلاقه فى
الوقت المناسب ، فقد انفتحت المظلة على مسافة قصيرة ،
حتى أنها لم تكف لتأمين هبوط آمن ، وإن نجحت إلى حد ما فى
تخفيف صدمة السقوط ، ولكن ..

ارتطم المقعد وراكبه بالأرض فى عنف ، وسقطت فوقهما
المظلة ، وغطتهما تماما ..

وقبل أن يفكر البدوى ، أو يبحث الأمر فى ذهنه ، وجد
نفسه يقفز فوق صهوة جواده ، ويهتف :

— هيا .. هيا إلى هناك .

أطاعه الجواد بنفس الحماس واللهفة ، فانطلق
كالصاروخ ، نحو الهدف الذى يقوده إليه فارسه ، وراح ينهب
الأرض نحو المظلة المستكنة على رمال الصحراء ..

ومن بعيد بدا حطام الطائرة المشتعلة ، ويميز البدوى على
جانبيها رسما لصليب معقوف لم يدر معناه أو مغزاه .. بل لقد
تجاهله تماما ، وهو يندفع نحو المظلة ، ولم يكذب يبلغها حتى
أوقف جواده ، ووثب من فوقه ، وراح يجذب المظلة فى سرعة
وإصرار ..

ووقع بصره على الرجل الذى يرقد أسفلها ، فوق مقعد
جلدى وثير ..

كان من الواضح أنه اجنبى ..

ذلك الشعر الأشقر الذهبى ، الذى يلتصق مع أشعة
الشمس ، ويتألق مع رمال الصحراء ، والبشرة الوردية ،
التي لم يهزم شحوب الموقف شيئا كثيرا من توردها ..

ثم هذه العيون الزرقاء ..

زوج من الاعين الزرقاء يتطلع إليه فى شيء من الضراعة
يمتزج بخوف غامض ، على الرغم من وجود مسدس فى غمده ،
حول وسط الأجنبى ، وبالتقرب من أصابع يده اليمنى ..

ولكن اليد نفسها كانت تدمى فى شدة ، وتبدو يابسة ،
خالية من الحياة ، ومن أثر السقوط ، ويبدو أن هذا هو
السبب الوحيد ، الذى منع الأجنبى من إطلاق نيران مسدسه
على البدوى .

ومضت لحظة من الصمت ..

بل لحظات التقت فيها العيون العربية السوداء ، بالعيون
الزرقاء ، قبل أن تنفجر شفتا الأجنبى فى صعوبة ، ليقول فى
وهن :

— انقذنى أيها العربى .. أنقذنى .

انعقد حاجبا البدوى الكئين ، فوق عينيه السوداوين ،
وهو يقول فى شيء من الدهشة :

— هل تتحدث العربية ؟

تأوه الأجنبى فى ألم ، وهو يجيب :

— إنهم يعلموننا بعض العربية ، فى قيادة الرايح ؛ لنفيد
بها إذا ما سقطنا فى أرض عربية ، و ..

منعته آهة ألم من إكمال حديثه ، فسأله البدوى فى صرامة :

— لماذا تتحاربون فى سمائى ؟

امسك الاجنبى جرح ذراعه ، وهو يقول فى مزيج من الالم والضعف :

— لست انا من يحتل ارضك يا رجل .. انهم هم ..
اعدائى واعدائك ..

ساعدنى .. ساعدنى حتى نطردهم من وطنك .

قال البدوى فى حزم :

— لتحتلوه انتم .. اليس كذلك ؟

كان ينتظر جوابا من الاجنبى ، إلا ان عينى هذا الاخير قد اتسعتا فى ذعر ، وهو يتطلع إلى نقطة بعيدة ، خلف ظهر البدوى ، الذى استدار بدوره يتطلع إلى النقطة نفسها ، فوقع بصره على ثلاث سيارات عسكرية ، من نوع (الجيب) ، تندفع نحو موقعه ، وكل منها تحمل ثلاثة من الجنود ، الذين يحتلون ارضه ، وسمع الاجنبى الجريح يقول فى ارتياح :

— لقد أتوا من اجلى .. انهم ينشدوننى .

ثم تشبث بذراع الفارس ، مستطردا :

— انقذنى ايها العربى .. انقذنى .

استثارات العبارة تلك النخوة فى اعماق كل العرب ..

استثارت روح الفروسية فى نفوسهم ..

اشعلت جذوة شهامة وحماسه ، فانعقد حاجباه فى حزم

وصرامة ، وهو يقول للاجنبى :

— اطمئن .. سأحميك .

ثم انتزع خنجره من نطاقه ، وانحنى يمزق به الحزام الجلدى السميك ، الذى يربط الاجنبى إلى مقعده ، واعاد

الخنجر إلى نطاقه ، وحمل الاجنبى ؛ ليضعه على ظهر جواده ، راقدا على بطنه ، وبعدها انتزع بندقيته من سرج الجواد ، وجذب ايرتها فى حزم ، فهتف به الاجنبى فى تهالك وفزع :

— ماذا ستفعل ؟

اجابه البدوى فى حزم ، وهو يتطلع إلى سيارات (الجيب) الثلاث ، التى تقترب فى سرعة :

— قلت لك اطمئن .. سأحميك .. ولن يظفروا بك ابدا .

هتف الاجنبى :

— اتظن أنك ستفعل هذا ببندقية واحدة وجواد ؟

صاح به البدوى :

— اصمت .

وفى اعماقه ارتفعت راية طال شوقه لخفتانها طويلا ..

راية المعركة ..

٢ - الهروب ..

اتضح الصورة لعينى البدوى ، مع وصول سيارات
(الجيب) الثلاث ..

كان يواجه تسعة من الذين يحتلون أرضه ، بوجوههم
الحمراء الباردة ، وكل ثلاثة منهم داخل سيارة ، يجلس فيها
ضابط واحد مع جنديين ، أحدهما يقود السيارة ، والآخر
يقف في المقعد الخلفى ، أمام مدفع رشاش مثبت بقائمين
راسيين إلى جانبى السيارة ..

وتوقفت السيارات الثلاث أمام البدوى ، وقال ضابط
بدين ، يحتل المقعد المجاور للسائق ، فى السيارة الوسطى :
— أحسنت بأسرك هذا الالمانى ايها العربى .. إنه
عدو لنا .. ولكم بالطبع .. هيا .. أعطنا إياه .. إنه
يخصنا .

كانت لحظة المواجهة ..

أول لحظة يواجه فيها أعداءه وجها لوجه ، منذ هبط
جنودهم على سواحل بلاده ، فى زمن جده ..

لحظة الصدام المباشر ..

وفى حزم الدنيا كلها ، أجاب البدوى :

— لا .. هذا الالمانى يخصنى أنا .

حدق الضابط البدين فى وجه البدوى فى دهشة ، وخيل إليه
انه لم يفهم كلماته جيدا ؛ لأن معرفته بالعربية لم تكن كافية ،

أو ان حرارة الشمس قد أربكت عقله وتفكيره ، فرفع قبعته
العسكرية ، وأخرج منديله ليحفف جبهته ، ويمسح شعره
الأحمر الملتهب كثيرا غاضبة ، ثم قال :

— يبدو انك لا تدرك الموقف جيدا ايها البدوى .. هذا
الرجل المسمى ، ينتهى إلى الرايخ الثالث(*) ، قائد دول
المحور ، التى تتحارب معنا نحن الحلفاء ، منذ عام ألف
وتسعمائة وتسعة وثلاثين ، و ...
قاطعته البدوى فى صرامة :

— لقد استجار بى هذا الرجل ، ايا ، كانت جنسيته
أو عقيدته ، وتقاليدينا تحتم ان أجيره ، مهما كان الثمن .

مرة أخرى خيل للضابط البدين انه لم يفهم المعنى ، فحدق
فى وجه البدوى فى دهشة ، قبل ان يهتف فى حنق غاضب :

— هل تمزح ايها العربى ، أم ان حرارة الشمس قد
أصابت عقلك بمس من الجنون ؟ .. إنها حرب .. حرب
عالمية ، يشتعل أوارها فى العالم أجمع ، وهذا الالمانى واحد
من امطروا شعبنا بالقنابل ، ولقد أسقطناه اليوم ، وهو
أسيرنا ، ولن ..

(*) الرايخ الثالث : اسم ارتبط بمعهد (أدولف هتلر) ، والرايخ
هو المجلس الأدنى للبرلمان الاتحادى الالمانى ، ولقد أصبح (هتلر)
مستشارا للرايخ عام ١٩٣٣م ، ثم دير مع (جورنج) عملية حرق مبنى
الرايخ () ليتخذ ذريعة لفرض النازية المطلقة ، التى تسببت فى اشتعال
الحرب العالمية الثانية .

قاطعته البدوى مرة اخرى :

— بل هو ضيفى ، ولن ينتزعه اى مخلوق منى ، إلا على جئنى .

هتف الضابط فى حدة :

— على جئتك !؟

ثم انعقد حاجباه الحراوان فى صرامة ، وهو يستترد :

— فليكن ايها العربى .

ورفع ذراعه هاتفا بلفته :

— اقتلوه .

راى العربى فوهات المدافع الرشاشة الثلاثة ترتفع فى

وجهه ..

وهو لا يحمل سوى بندقيته ..

وخنجره ..

وقلبه العربى ..

* * *

حتى الحروب علم ..

علم له قواعد وأصوله ..

علم يدرس كل ظروف الحرب ؛ ليضع النتائج ..

يدرس ساحة المعركة ، وطبيعة الأرض ، وقوة الجيشين

المتصارعين ، و ...

كل القواعد ..

إلا واحدة ..

واحدة نسيها واضعو هذا العلم ؛ لانهم — للأسف —

ليسوا من أبناء العرب ..

قاعدة تتعلق بقدرات البشر وإحساسهم بالكرامة ..

.. وبقدرة الله (سبحانه وتعالى) ..

القدرة التى لا تعلوها قدرة ..

قدرة خالق الكون ومحركه ..

وبهذه القاعدة المنسية ، اختلفت الصورة ..

فى كل الظروف الطبيعية لم يكن من الممكن أن ينجو البدوى ،

وهو يحمل بندقيته بدائية وخنجرا ، فى مواجهة ثلاث من

سيارات (الجيب) ، وتسعة من جنود الأعداء ، وثلاثة

مدافع رشاشة ..

ولكننا قلنا إن الصورة قد اختلفت ..

لقد تحرك البدوى الملثم بأسرع مما تحرك أعداؤه ، ورفع

بندقيته فى سرعة البرق ، وأطلق منها رصاصتين ، اخترقت

إحداهما جبهة أحد الجنود الثلاثة ، الذين يقفون خلف

المدافع الرشاشة ، واخرقت الثانية صدر آخر ..

وقبل أن يطلق الثالث رصاصات مدفعه الرشاشى ، كان

العربى قد وثب على صهوة جواده ، وهتف به :

— انطلق .

لم يفر مبتعدا عن خصومه ، كما قد يتوقع الجميع ، وإنما

انطلق بجواده نحوهم ، وجذب عنان الجواد فى حزم ، ولكره

بكعبيه فى بطنه ، فأطلق الجواد سهيلا قويا ، وقفز بقوائمه

الأربع وبراكبيه ، فوق السيارة الوسطى ، فأطلق ضابطها

البدوين شهقة دهشة وذعر ، ورفع ذراعه اليمنى فوق رأسه ،

وهو ينحنى فى خوف ..

وهبط الجواد الأصيل خلف السيارة ، واطلق الألماني
الجريح صرخة ألم ، عندما ارتج جسده في قوة ، مع هبوط
الجواد ، ثم فقد وعيه ، مع انطلاقة الجواد بين رمال
الصحراء ..

واعتدل الضابط البدين ، وهو يصرخ في الجندي المقاتل
الوحيد ، الذي بقي حيا خلف مدفعه الآلي :
- اقتله .. اقتله قبل أن يبتعد .

ارتبك الجندي ، وقفز إلى الجانب الأخر من السيارة ،
وأدار مدفعه الرشاش إلى الخلف ، وراح يطلق النار خلف
البدوي ، ولكن جواد هذا الأخير كان قد ابتعد إلى حد كاف ،
نهتف الضابط البدين في سخط :
- اللعنة !

اعتبر الجندي هذا السباب أمرا من قائد بالتوقف عن
إطلاق النار ، فأوقف سيل النيران ، في حين استلرد الضابط
البدين في حدة :

- يا للعار !! .. كيف فعل بنا بدوي متخلف هذا ؟
هتف ضابط شاب ، له شارب ضخم ، يملا وجهه كله
تقريبا :

- لقد باغتتنا وخدعنا يا كابتن (سميث) ، فلم نكن نتوقع
رد فعله السريع هذا ، ولا اتجاه فراره ، أو ...
قاطعه البدين (سميث) في حنق :

- اصصهت يا (رالف) .. حديثك هذا يثير مزيدا من
سخطي .. كيف تقول بكل هذه البساطة . إن بدويا همجيا قد



خدع ثلاثة من ضباط إمبراطوريتنا العظمى ؟ .. إننا لن
نسمح بهذا أبدا .

ارتبك (رالف) ، وهو يقول :

— ولكننى تصورت أن هذا أفضل مصطلح يا كابتن
(سميث) ، وإلا فكيف يمكنك أن تصف ما فعله بجندى
سيارتك ، وجندى سيارة (الفريد) ؟

قالها وهو يشير إلى السيارة الثالثة ، التى يجلس فيها
ضابط متين البنيان ، حاد الملامح والنظرات ، علق فى سرعة :
— هذا لا يعنى أنه قد هزمنا يا (رالف) .

ازداد ارتباك (رالف) ، وهو يغمغم :

— بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعه كابتن (سميث) فى صوت هادر ، وهو يوجه حديثه
إلى الضابط الآخر :

— بالطبع يا (الفريد) .. لا يمكن أن يهزمنا عربى .

ثم أشار إلى حيث اختفى البدوى ، وأضاف فى حزم
غاضب :

— هيا .. أديروا السيارات ، وسنطارده هذا البدوى ..
وسنستعيد أسيرنا .

استدارت السيارات الثلاث ..

وبدأت المطاردة ..

لم يصدق الألمانى الجريح نفسه ، عندما استعاد وعيه ،
فوجد نفسه يرقد حيا على رمال الصحراء ، وفوقه مظلة
بدائية تظلل رأسه ، صنعها له البدوى من سرج جواده ،
وبندقيته المثبت كعنها فى الرمال ..

وتحسس الألمانى ببسراه تلك الضمادة المحكمة ، التى
أحاط بها العربى جرح ذراعه ، والتى هى جزء من عمامة
البدوى ، ثم أدار عينيه يبحث عن العربى ..

كان جواد البدوى يقف على مقربة منه ، ينفخ الهواء من
منخريه ، ويضرب الرمال بقائمه اليسرى فى رفق ، فى حين
وقف العربى على قيد خطوات منه ، وهو يوليه ظهره ، ويضم
كفيه إلى منطقة التقاء صدره ببطنه ، ويحنى رأسه فى خشوع
وصمت عجيبين ..

وقال الألمانى فى ضعف :

— حلقى يلتهب .. أريد جرعة ماء .

خيل إليه أن العربى لم يسمعه ، على الرغم من أنه كان
يقف قريبا منه ، فرفع صوته ، مكررا :

— أريد جرعة ماء .

امتلات نفسه برهبة غامضة ، عندما رأى العربى يجثو
على ركبتيه ، ثم يسجد حتى تمس جبهته رمال الصحراء ..

وارتجف قلب الألمانى ، ولاذ بالصمت ، وهو يراقب
العربى فى خشوع عجيب ، ملأ نفسه كلها ، والعربى يكرر
سجوده ، ثم يجلس على ركبتيه صامتا ، وشفتاه تتمتمان

بهمس شديد الخفوت ، قبل أن يدير وجهه يمينا ، وكأنها ينظر إلى كتفه اليمنى ، ثم يعود ليديره يسارا ، وبعدها ينهض ليحمل زمزميته ، ويتجه بها إلى الألماني ، قائلا في هدوء بالغ :

— خذ .

سأله الألماني في دهشة :

— ما هذا ؟

أجابه العربي ، وهو يجلس على الرمال إلى جواره :

— الماء .. ألم تطلب جرعة منه ؟

أوما الألماني برأسه إيجابا ، واختطف الزمزية ، وراح يروي عطشه من مائها في لهفة ، ثم أعادها إلى العربي ، وهو يقول :

— أشكرك .

قال البدوي في بساطة لا تخلو من شيء من الحزم :

— الماء لله ، وليس لي .

سأله الألماني في اهتمام :

— ماذا كنت تفعل ؟

أجابه في اقتضاب :

— أصلى .

سأله :

— للشمس .

روايات معربة للجيب — كوكتيل ٢٠٠٠

١٢٣
كان اللثام يخفي نصف وجه البدوي ، إلا أن الألماني رأى ابتسامة ساخرة تملأ العينين السوداوين ، والبدوي يجيب :

— هل تصلون أنتم للشمس ؟

غمغم الألماني في حرج :

— لا .. ولكنني تصورت أن ..

قاطعته البدوي ، وهو يجيب في خشوع :

— كنت أصلى لله (سبحانه وتعالى) ، خالق الكون كله .

سأله الألماني :

— اتقصد الله ، الذي نعبده نحن ؟

أجاب البدوي :

— هناك إله واحد للجميع .

أراد الألماني أن يلقي عليه سؤالا آخر ، ولكن البدوي أوقفه بإشارة من يده ، ورفع رأسه ، وكأنه يرهف سمعه لأمر ما ، ثم لم يلبث أن نهض في سرعة ، وقال في حزم :

— هيا .. سنواصل رحلتنا .

قال الألماني في دهشة :

— ولكنني متعب ، و ..

لم يمهله العربي ، وإنما انتزع سرج الجواد ، وراح يربطه على ظهر جواده في إحكام ، ثم حمل الألماني ، والقاء على متن الجواد ، وانتزع بندقيته من الرمال ، ووثب على سهوة الجواد بدوره ، فقال الألماني في ألم :

— ماذا حدث ؟ .. لماذا تسرع هكذا ؟

جذب البدوى عنان جواده ، وهو يقول :

— لقد وصلوا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى رأى الالماني سيارات (الجيب)
الثلاث ، وهي تظهر من خلف مرتفع رملى قريب ، وتتجه إلى
موقعها في سرعة ، وفي نفس اللحظة انطلق الجواد ..
وبدأت المطاردة ..

* * *

٣ — مطاردة ..

ترى ايها اكثر سرعة ، على رمال الصحراء .. السيارة ،
أم الجواد ؟ ..

لا ريب أن هذا هو السؤال ، الذى دار بذهنك ، مع بدء
المطاردة ..

وهو نفس السؤال ، الذى دار بخلد الالماني ، وبلا
حواسه كلها ، إلى الحد الذى أنساه آلام جراحه ، على
الرغم من سرعة الجواد وارتجاجاته ..

كانت حياته كلها تتوقف على جواب هذا السؤال ..

وعلى سرعة جواد البدوى ..

هذا ما تصوره هو ..

أما راكبو السيارات ، فقد بدا لهم أن النصر آت لا ريب
فيه ، وسياراتهم تقترب من الجواد في سرعة ، فهتف كابتن
(سميث) ، وقد احتقن وجهه المكتظ كله ، بفعل الحرارة
والانفعال :

— لقد أوقفنا به .. زيدوا من سرعتكم .. هيا .. أريد

رأس ذلك العربى الاحمق على طبق من صفيح صدى .

ضرب (الفريد) ظهر سائق سيارته براحة يده في حدة ،
وهو يهتف .

— انطلق خلفه يا (اندرو) .. سامنحك إجازة طويلة ،

لو لحقت به .

ضاعف ذكر الإجازة من حماس (اندرو) ، وقفزت إلى ذهنه صورة خطيبته الحسنة ، التي لم يلتق بها منذ عام كامل ، فضغط دواسة الوقود بكل قوته ، وانطلق خلف جواد البدوى ..

وهتف الألماني في ياس :

— سيلحقون بنا .. لا فائدة .

لم يعلق البدوى بحرف واحد ، وإنما ظل ينطلق بجواده بأقصى سرعة ، وعيناه تجوبان الصحراء في اهتمام وترقب .. وفجأة انحرف بجواده يمينا ، فهتف (الفريد) ، وهو يطلق ضحكة تمزج فيها السخرية بالشيء الكثير من العصبية :

— لا فائدة من مناورتك الفاشلة أيها العربي .. الصحراء كلها صحراء .. ستجد الرمال أينما ذهبت .. رمال بلا نهاية .

بلغت العبارة مسامع البدوى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل انطلاقته بجواده ، وكأنما احتشدت حواسه كلها لهذه الانطلاقة ..

واقتربت السيارة من الجواد أكثر وأكثر ..

وراحت المسافة بينهما تتناقص ..

ومن مسافة بعيدة نوعا ، رأى (سميث) و (رالف) ما يحدث ، فهتف (سميث) في انفعال شامت :

— لقد لحق به (الفريد) .. سيمزق هذا العربي تمزيقا .

أما (رالف) ، فلم ينبس ببنت شفة ..

كان هناك قلق خفى يملأ نفسه ..

أو هو شعور سابق للأحداث ..

كل هذا لم يشعر به (الفريد) ، الذى طغى شعور الظفر على كل مشاعره الأخرى ، فقفز من مقعده إلى المقعد الخلفى ، حيث المدفع الرشاش المثبت هناك ، وصرخ في السائق :

— الحق به يا (اندرو) .. الحق به .. أريد أن أرى

الهزيمة في عينيه ، قبل أن امطره برصاصاتى .

واقتربت السيارة كثيرا من الجواد ، و ..



وفجأة انحرف البدوى بجواده يسارا ، في انحرافه حادة ، مال لها الجواد الأصيل في عنف ، قبل أن ينطلق في طريقه مرة أخرى ، فصرخ (الفريد) :

— انحرف خلفه يا (اندرو) .. انظروا ..

قالها و (أندرو) يدير سيارته بالفعل ، ثم بتر العبارة ،
وقد اتسعت عيناه في رعب هائل ..
لقد وجد امامه نجاة جرف رهيب ..
منخفض رملى حاد ، يبلغ ارتفاع حافته ، حيث تنطلق
السيارة ، مائة متر على الأقل ..
وكان (أندرو) ينحرف بالسيارة في عنف ..
والسيارة تنزلق على رمال الصحراء ..
وإطارات السيارة تتجاوز حافة الجرف الصحراوي ،
وتدور في الهواء ..
وأطلق (الفريد) صرخة رعب هائلة ، امتزجت بشهقة
ذعر وذهول من حلق (أندرو) ..
وفقدت السيارة توازنها ..
وهوت ..
هوت من حلق ، وارتطمت بالرمال في عنف ..
وانكمت الصرخات ..
ودون أن يلتفت خلفه ، واصل البدوى طريقه ، وجواده
ينهب الأرض نهبا ، في حين راح الألماني يساله في انفعال :
— ماذا فعلت بهم ؟ .. كيف فعلتها ؟ .. كيف ؟
ولم يجب البدوى ..
أما (سميث) و (رالف) ، فقد أوقفنا سيارتيهما عند
حافة الجرف ، وصرخ (سميث) في ارتياح ، وهو يغادر
سيارته :
— ماذا فعل ذلك البدوى الاحمق ؟ .. ماذا فعل ؟

روايات مصرية للجيب — كوكيل ٢٠٠٠ ١٢٩

دار رأسه ، وهو يتطلع من أعلى الجرف إلى السيارة ،
التي غاص جزء منها في قلب الرمال ، مع رأس (الفريد) ،
وإلى جوارها استلقى سائقها ، وسط بركة من الدماء ،
راحت الصحراء تمتصها في بطن ..
وفي مرارة ، وبوجه أحاله الشحوب إلى ما يشبه
الصحراء ، قال (رالف) :
— لقد خدعه العربي .. قاده إلى حافة رملية ، تنشأ
عادة من عوامل التعرية الجوية ، ولا يعرفها إلا أبناء
الصحراء .

رفع (سميث) رأسه في حدة ، وهو يقول :
— أبناء الصحراء !؟

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يصرخ :
— حسنا يا (رالف) .. سندفن أبناء الصحراء هؤلاء
في قلب الصحراء .
وعلى الرغم من بدانته ، قفز إلى سيارته في خفة ،
واستطرد في عناد :
— هيا .. سنواصل المطاردة .
وأطاع الجميع الأمر ..

* * *

ابتعد البدوى بجواده لمسافة مناسبة ، ثم خفف سرعة
الجواد ، وربت عليه في حنان والفة ، ورفع عينيه يديرهما
في الصحراء من حوله ، فتمتم الألماني في ألم وضعف :
— يبدو أن جرحى ينزف مرة أخرى .

التي البدوى نظرة سريعة على الضمادات الملوثة بالدماء ،
وقال :

— هذا صحيح .

وأوقف الجواد ، ثم هبط عنه ، وحمل الألماني ، وأرقدته
على الرمال ، فتأوه هذا الأخير ، وقال :

— ما زالت الرمال ساخنة .

أجابته البدوى في حزم واقتضاب :
— احتملها .

ثم راح يحل الضمادات في صمت ، والألماني يتأمله في
حيرة لا تخلو من إعجاب وإكبار ، قبل أن يسأله :

— كيف قدنتهم إلى هذا الفخ المحكم ؟

أجابته البدوى ، وهو يضمد الجرح مرة أخرى :

— الصحراء ليست كلها صحراء ، كما قال ذلك الرجل .
هتف الألماني في دهشة :

— هل تفهم لغته ؟

عقد البدوى حاجبيه ، وأجاب في ضيق :

— بالطبع .. إنهم يحتلون وطنى منذ أكثر من نصف
القرن .

حدق فيه الألماني لحظات في دهشة ، ثم أزاح دهشته
جانبا ، أمام فضوله الجارف ، وهو يسأل البدوى :

— حسنا .. ما الذى تعنيه بأن الصحراء ليست كلها
صحراء ؟

أجابته البدوى في اقتضاب :

— للصحراء لغة نفهمها نحن .

سأله في لهفة :

— أية لغة ؟

لم يجب البدوى هذه المرة ..

إنه يعرف لغة أعدائه ، ليتقى شرهم ، كما أمره دينه
ورسوله ، ولكنه لن يكشف لغته هو لأجنبي أبدا ..

حتى ولو كان هذا الأجنبي عدوا لعدوه ..

لن يكشفها لأحد قط ..

وكرر الألماني في إلحاح :

— ما لغة الصحراء هذه ؟

أجابته هذه المرة في اقتضاب حازم :

— لن تفهمها .

ثم حملة ، بعد أن انتهى من تضميد جراحه ، وأعادته إلى
ظهر الجواد ، فتخلى الألماني عن سؤاله ، وقال :

— أخبرنى إذن ، إلى أين سنذهب هذه المرة ؟

أجابته البدوى ، وهو يعتلى سهوة جواده :

— إننا نحتاج إلى الماء .

وفى لغة الصحراء ، كان هذا يعنى جوابا واضحا ..

واتجاها واحدا ..

ومع اقتراب السيارتين من الواحة ، راخت تلك البقعة الخضراء تتحول إلى جنة صغيرة ، من النخيل والاعصان الوارفة ، وسط صحراء قاحلة ..

واقترحت السيارتان تلك الجنة بكل صفاقة وهمجية ، وخرج سكان الواحة من خيامهم ، يتطلعون في قلق إلى سيارتي (الجيب) ، واصر (سميث) على مضاعفة هذا القلق ، وهو يأمر الجندي الواقف خلف المدفع الآلى ، في سيارة (رالف) ، قائلا :

— استعداد يا رجل ، واطلق النار بلا تردد ، على اول من يرفض التعاون معنا هنا .

قالها بالعربية في تحد واضح ، وهو يدبر عينيه في وجوه سكان الواحة في صرامة وحزم ، ولكن شيئا عربيا وقورا اقترب منه ، بلحيته المهيبه ، وشعره الاشيب المسترسل ، وقال في هدوء ، وكأنها لا يعنيه امر المدفع الرشاش ، المصوب إلى صدره :

— لا داعى لكل هذا أيها الضابط .. إننا نعلم لماذا نتم هنا ، ولدينا الجواب .

كان هذا القول مباغتا لكابتن (سميث) ، الذى توقع الكثير من المكابرة والعناد ، كما يحدث في كل مرة ، يحدث فيها احتكاك مباشر ، بينه وبين العرب ، فحذق في وجه الشيخ لحظة في دهشة ، لم تلبث أن استحالته إلى غضب ، جعله يقول في حدة :

— اسمع أيها الشيخ ..

« إلى اقرب واحة .. » .

قالها (رالف) في اهتمام ، وهو يشير إلى بقعة خضراء ، تتوسط خريطة كبيرة صفراء ، فردها (سميث) على مقدمة سيارته ، فساله هذا الأخير :

— أنت واثق من أنه سيتخذ هذه الوجهة بالذات .

أجابه (رالف) :

— بالتأكيد ؛ فهو وجواده والامانى سيحتاجون إلى الماء حتما ، شأن أى مسافر في الصحراء ، ولا يوجد ماء في هذه المنطقة ، سوى في تلك الواحة .

ثم تنحنح ، وأضاف :

— ونحن أيضا نحتاج إلى الماء ، فقد تطول المطاردة ، و ...

قاطعه (سميث) في حدة :

— لن تطول .

ثم قفز إلى سيارته ، آمرا في انفعال :

— هيا .. سنذهب إلى هذه الواحة .

وأضاف في حنق واضح :

— وسنروى نخيلها بدماء هذا العربى .

وتواصلت المطاردة ..

لم تختلف الواحة كثيرا عن صورتها على الخريطة .. بقعة خضراء ، وسط مساحة هائلة صفراء ..

ولكن الشيخ واصل حديثه بنفس الهدوء ، وكأنها لا تعنيه
حدة (سميث) أبدا :

— لقد أتى من تبحثون عنه إلى هنا ، وتزود بالماء
والمؤن ، ثم رحل مع ضيفه الألماني .

هتف (سميث) ، وقد عاودته دهشته بصورة أعظم هذه
المرّة :

— حضر ورحل !؟

ومرة أخرى تحولت دهشته إلى نوبة غضب ، وهو يقول :

— اسمعنى أيها الشيخ .. لو أنك تخدعنى فسوف ..

هذه المرّة قاطعته طلقة رصاص ..

رصاصه انطلقت من مرتفع رملى بعيد ، ولكن الهواء حمل

دويها إلى آذان الجميع فى الواحة ..

والتفت الكل إلى حيث انطلقت الرصاصه ..

وارتفعت عيون الأجانب فى دهشة ..



نهناك .. فوق مرتفع بعيد ، جلس البدوى فوق جواده ،
وأمامه الألماني ، منبطحا على ظهر الجواد ، وفى يد البدوى

بنديقيته ، يرفعها عاليا ، بعد أن أطلق منها هذه الرصاصه ..

وصرخ (رالف) فى دهشة :

— إنه هو !؟

أما (سميث) فقد استشاط غضبا ، وهو يصرخ :

— يا للصفاقه !!.. يا للتحدى .

ثم صاح :

— انطلقوا خلفه .. أريده باى ثمن ..

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيها السيارتان ، أدار

البدوى عنان جواده ، وانطلق مرة أخرى وسط الصحراء ،

متحديا الغموض ..

ومواجه الموت ..

٤ — العاصفة ..

كل ما يحدث كان يدهش الالماني ويثره ، ويقفز بانفعالاته إلى الذروة ، على الرغم من انه وضعفه المتزايد ، اللذين غلبهما فضوله ، وهو يسأل البدوى :

— لماذا فعلت هذا ؟.. لقد ارشدتهم إلى موضعنا ، وكان يمكننا أن نفر منهم تماما هذه المرة .

اجابه البدوى في حزم :

— لم يكن ذلك البدين ليتورع عن ذبح كل سكان الواحة ، ليرشدوه إلى حيث اتجهنا ، ولم يكن أحدهم ليخبره ، حتى لو فنوا على بكرة أبيهم .

هتف الالماني في دهشة :

— إلى هذا الحد !؟

لم يجب البدوى ..

بدا له الجواب ساذجا تافها ، لا يستحق حتى ان ينطقه ..

من الواضح ان هذا الالماني يجهل الكثير عن طبيعة العرب ..

عن الشهامة ، والنخوة ، والشجاعة ، والكرامة ..

يجهل كل شيء عن عظمة كل ما هو عربى ..

ولم يكرر الالماني سؤاله ..

كان قد فهم الشيء الكثير عن طبيعة هذا البدوى .. واحترمه أكثر ..

وصمتا الالماني ، وابتلع آلامه وضعفه ، والبدوى ينطلق بالجواد نحو مرتفعات صخرية ضخمة وواسعة الانتشار .. ثم ظهرت السيارتان من خلف تل بعيد ، وراحتا تحثان السير نحو الجواد ..

هنا فقط عاد إلى الالماني توتره ، وقال :

— لقد ظهوروا مرة أخرى ..

انتظر ان يسمع جوابا او تعليقا من البدوى ، إلا ان هذا الأخير لم ينبس بحرف واحد ، فراقب الالماني اقترباب السيارات مرة أخرى ، وقال في قلق :

— بهذه السرعة سيلحقون بنا حتما .

في هذه المرة اجابه البدوى :

— ليس إذا بلغنا المر أولا .

هتف الالماني ، وقد انعشت هذه العبارة الامل في نفسه :

— اهو مر بين تلك الجبال هناك ؟.. اهو أضيق من ان

تعبه سيارة ؟

جاء جواب البدوى مخيبا لآمله ، وهو يقول :

— بل هو يكفى لمرور سيارتين متجاورتين .

قال الالماني في يأس :

— لماذا تظننا سننجو لو بلغناه قبلهم إذن ؟

اجابه في هدوء :

— الرمال ترتطم بقوائم الجواد في قوة .

سأله الألماني في دهشة :

— وما الذي يعنيه هذا ؟

صهت البدوي لحظة ، ثم أجاب في حزم :

— يعني الكثير .. هذه هي لغة الصحراء .. لغتنا .

قالها وقد بلغ المر ، فاندفع بجواده يعبره في مهارة ،
والجواد الاصيل يتجاوز بعض الصخور ، ويقفز فوق البعض
الأخر ، وقد تزايدت سرعة الرياح ، وراحت حبيبات الرمال
الصغيرة ترتطم بوجه الألماني ، الذي هتف :

— هذه الرمال مؤلمة .

أجابه البدوي في اقتضاب :

— ألما هو ألمنا الوحيد .

كانا قد بلغنا نهاية المر عند هذه اللحظة ، ونوجىء
الألماني بالبدوي يوقف جواده ، ويهبط عن صهوته ، ثم
يبدأ في حمله هو لإنزاله ، فهتف :

— ماذا تفعل أيها العربي ؟ .. هل جننت ؟! .. إنهم
يبعدون عنا مسيرة عشر دقائق فحسب ، وتوقفنا يعني أن
تنكمش المسافة بيننا وبينهم أكثر ، و ...

قاطعه البدوي في حزم :

— لن يمكنهم عبور المر بعد خمس دقائق من الآن .

نطقها وهو ينزل الألماني ، ويرقده أرضا ، ثم يحل سرج
جواده ، ويعمل في سرعة ؛ ليصنع منه شيئا أشبه بخيمة
متينة ، تصد عنه وعن الألماني الرمال المتطايرة ، التي
تضاعفت سرعتها وقوتها كثيرا ، في حين التصق الجواد
بجدار الجبل ، راح يطلق سهيلا خائفا متصلا ..



وتتم الألمانى فى توتر :
 — إنها عاصفة .. اليس كذلك ؟
 اجابه البدوى :
 — بلى .

بعدها ساد الصمت بينهما تماما ، وراح الألمانى يراقب
 المر ، الذى تفجرت داخله عاصفة جنونية من الرمال ،
 حجبت الرؤية تماما ..
 إنها لغة الصحراء ..
 لغة الحياة ..
 والموت ..

ارتبك سائق سيارة كابتن (سميث) كثيرا ، وهو يقترب
 من المر ، وراحت أصابعه ترتجف حول عجلة القيادة ، ثم
 لم يلبث ان ضغط كامح السيارة ، وأوقفها على بعد أمتار
 من مدخل المر ، فصاح به (سميث) فى غضب :
 — لماذا توقفت ؟

اجابه السائق فى توتر ، وهو يشير إلى عاصفة الرمال ،
 داخل المر :
 — لا يمكننى القيادة هناك يا سيدى .. ستدفننا الرمال
 تحتها احياء .

واسرع (رالف) يتدخل ، قائلا :
 — هذا صحيح يا كابتن .. إنها عاصفة عتيده ، ومن
 الأنضل أن نتوقف .

روايات مصرية للجيب — كوكتيل ٢٠٠٠ ١٤١
 تردد (سميث) لحظات ، ثم قال فى حدة :
 — ولكن هذا البدوى سيفر .
 قال (رالف) :

— لست أظن هذا يا سيدى .. لا ريب أنه سيتوقف
 أيضا ، فالعاصفة أعنى من أن يواصل سيره وسطها .
 حسم هذا القول الكثير من تردد (سميث) ، إلا أنه هتف
 غاضبا :

— اللعنة على هذا الطقس !! إنها صحراء مجنونة
 كقطنيتها .. لقد نشأت هذه العاصفة القذرة فجأة ..
 وبلا مقدمات .

تمتم (رالف) :

— إنها طبيعة الصحراء يا سيدى .
 ثم تفنح مستطردا :

— أظننى سأنتقل إلى سيارتك يا سيدى ، فهى الوحيدة
 ذات غطاء واق ، والرمال ترتطم بى على نحو مؤلم .
 مط (سميث) شفثيه ، وغمغم :
 — فليكن .. انتقل إلى هنا .

ووسط العاصفة جلس الجميع ينتظرون انتهاء غضبة
 الطقس ..

وبدء جولة جديدة من المطاردة ..

كان الموقف رهيبا ، والعاصفة تتزايد في عنف ، وتبعث في قلب الالماني الكثير من الخوف والتوتر ، في حين بدا البدوي هادئا ، ساكنا ، وكأنها ينتظر فقط انتهاء العاصفة ؛ ليواصل طريقه ، فسأله الالماني :

— يبدو أنك قد اعتدت هذا .. اليس كذلك ؟

أتاه الجواب مقتضبا :

— بالطبع .

ازدرد الالماني لعبابه في توتر ، وقال :

— شاقة هي حياتكم أيها العرب .

لم يجبه البدوي هذه المرة ، ولكن الالماني كان يحتاج إلى مواصلة الحديث ؛ ليزيل به بعضا من رهبة الموقف ، فعاد يقول :

— لو نجونا من هنا لن انسى لك هذا الجميل ابدا أيها العربي ، ولو قدر لـ (المانيا) ان تجتاح هذه الدولة ، وتطرد منها البريطانيين ، فسأعمل على أن يكون لك شأن فيها .

عقد البدوي حاجبيه ، وهو يقول :

— لو حدث هذا ، فحاول الا تلتقي بي ابدا ، وإلا فسيكون

الموت نصيبك .

هتف الالماني في دهشة :

— الموت !؟

أجابه البدوي في حزم :

— عندئذ ستكون أحد من يحتلون بلادى ، والموت هو

الجزء الوحيد لك .

قال الالماني ، محاولا تلطيف الموقف :

— ولكننى عدو لأعدائك .

قال البدوي في بغض واضح :

— كل استعمار له حجة ، ينفذ منها إلينا .

شعر الالماني بدهشة شديدة هذه المرة ، وتطلع إلى

البدوي في حيرة ، ثم سأله .

— لماذا تفعل كل هذا من أجلى إذن ، مادمت تبغضنى

إلى هذا الحد ؟

أجابه البدوي في حسم :

— لقد طلبت حمايتى ، وتقاليدى تجبرنى على الدفاع

عنك ، مادمت قد فعلت .

هتف الالماني في دهشة :

— حتى لو كنت عدوك .

قال البدوي :

— حتى لو كنت قاتل أبى وأمى .

حدق فيه الالماني في دهشة بالغة هذه المرة ..

كان يستمع إلى منطق لم يتعامل به قط ..

بل لم يقرأ عنه ..

ولم يسمع به ..

ونبض قلبه بإعجاب جارف بغتة ، فهتف من أعماقه ،

وبكل إخلاص :

— كم أتمنى لو كنت عربيا !!

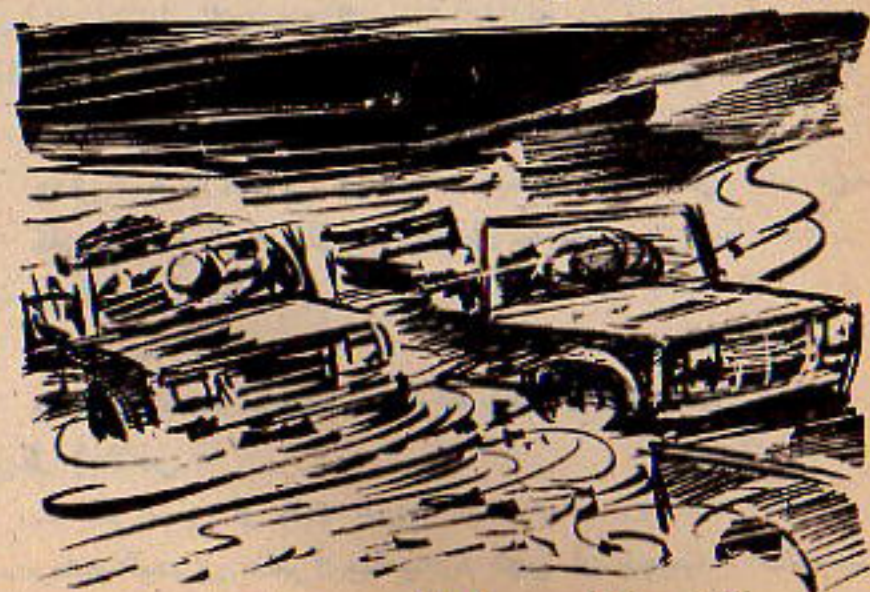
رمقه البدوي بنظرة جانبية ، دون أن يجيب ، فاستطرد

الالماني في حرارة :

— أريد أن أصبح عربيا .
خيل إليه أن البدوى قد ابتسم ، من تحت لثامه ، في
سخرية ، ثم أشاح بوجهه في صمت ..
وانقطع جبل الحديث ..
تماها ..

* * *

كانت ليلة ليلاء ، عصفت فيها الرياح ، وعربدت ، وحملت
أطنانا من الرمال ، والقثها في كل مكان ، مغيرة تضاريس
الصحراء في بساطة وسرعة ، كما يحدث في كل العواصف ..
وانكمش البريطانيون الخمسة داخل السيارتين ..
(سميث) و (رالف) في سيارة مغطاة ، والجنود الثلاثة
الأخرون في سيارة عارية ..



ومضى الليل بطيئا .. طويلا ..

ثم اشرفت الشمس أخيرا في الأفق ..
وهدأت الرياح بفتة ..
وساد السكون ..
سكون رهيب مثير ، قطعته (سميث) ، وهو يهتف :
— اللعنة !

نهض ينفض الرمال عن ثيابه العسكرية ، والقي نظرة
على السيارة الأخرى ، حيث الجنود الثلاثة ، الذين بدوا
شديدي التهاك ، وهم ينفضون كميات هائلة من الرمال ، ثم
التفت إلى (رالف) ، الذي يحتل مقعد قيادة سيارته ، قال
محنقا :

— لم أتصور أن ينتهي هذا الأمر السخيف أبدا !

قال (رالف) ، وما زالت حروف كلماته تحمل آثار ليلاته
العصية :

— هكذا عواصف الصحراء .. تنشأ فجأة .. وتنتهي
فجأة ، و ...

قاطعته سهيل جواد ، يأتي من الطرف الآخر للممر ، فآدار
عينيه إلى هناك ، وآدار الجميع عيونهم معه ..

كان جواد البدوى هناك ، يضرب الأرض بقوائمه ، وإلى
جواره ارتفعت يد ، بدا وكأنها تبرز من قلب الرمال ، ثم برز
البدوى ، وهو يحمل الألساني من أسفل السرج ، ويحمل
بندقيته باليد الأخرى ..

كان على بعد أمتار قليلة من السيارتين ؛ لذا فقد صرخ
(سميث) ، وقد انتابه حماس جارف :

— ها هو ذا .. انقضوا عليه .

وعلى الفور زارت محركات السيارتين ، وانطلقت سيارة
الجنود الثلاثة ، يقودها جندي ، و خلفها سيارة (سميث) ،
يقودها (رالف) ..

وفي مؤخرة سيارة الجنود ، كان أحد الجنود الثلاثة يعد
المدفع الرشاش للإطلاق ..

واتسعت عيون الألماني في ذعر ..

هذه المرة لا أمل في النجاة ..

لا أمل قط ..

٥ - الرمال ..

في كل شعوب العالم ، وفي كل لغات الدنيا ، وكل تراث
معروف ، سنجد قولاً مأثوراً ، أو مثلاً شعبياً ، يشير إلى
معنى اتفق عليه الجميع ..

الحياة مع الخطر تصنع أفضل أنواع الرجال ..
وهذا صحيح ..

كان ينبغي أن ترى ما حدث هناك ، في ذلك الممر الصغير ،
في قلب الصحراء ، لتؤمن تماماً بهذا المبدأ ..

لقد نشأ البدوي وترعرع في قلب الصحراء ، بكل مخاطرها
وصعابها ..

والفها ..

امتزج بها ..

صارت رمالها مهذا وفراشها له ..

عرفته وعرفها ..

فهمته وفهمها ..

وفي هذه اللحظة هناك ، عندها انقضت عليه سيارتا
(الجيب) ، كان يدرك جيداً ما ينبغي له أن يفعله ..

وفي سرعة ، فعله ..

رفع بندقيته إلى أعلى ، وأطلق رصاصتين على قمة
الممر ..

وأرتفع ذلك الهدير ..
هدير يعرفه كل بدوى ..
ويخشاه ..

ورفع البريطانيون رعوسهم إلى أعلى ..
ورأوا صخوراً صغيرة ترتجف في أعلى المر ، ثم تنفصل
عن أماكنها ، وتهوى فوق الرعوس ، مع اطنان من الرمال ..
وصرخ (سميث) في هلع :
— تراجع يا (رالف) .. تراجع ..

قفزت يد (رالف) في توتر إلى عصا السرعة ، ووضعها
في موضع العودة إلى الخلف ، وضغطت قدمه دواسمة
الوقود ..
وسقطت فوقه الرمال ..

وارتفع صراخ الجنود الثلاثة ، على بعد أمتار داخل
المر ..

ولكن (رالف) تراجع بالسيارة ..
لقد نجح ونجا ، ولكن جنوده الثلاثة دفنوا أحياء تحت
الرمال ..
رمال الصحراء ..

واتسعت عينا (سميث) في رعب وذهول ، والرمال
ما زالت تنهمر ، ثم هتف بكل التوتر الكامن في نفسه :
— اللعنة !!

كان (رالف) ينفض الرمال عن ثيابه في عصبية ، عندما
أجابته :

— هذا العربي داهية يا سيدى .. داهية رهيب .
هتف (سميث)

— بل هو ثعلب .. ثعلب مأكز ..
ران عليهما الصمت ، بعد عبارة (سميث) ، ثم قال
(رالف) في تردد :

— يبدو أننا سنضطر للاعتراف بالهزيمة ، و ...
صرخ (سميث)

— أصمت .

ثم انتزع خريطة الصحراء ، راح يفردها في عصبية بالغة ،
وهو يقول :

— نعترف بالهزيمة أمام عربى ؟! .. هل أصابك الجنون
يا (رالف) ؟! .. إننى سأقتنص هذا الثعلب العربى المغرور ،
حتى ولو تصور أنه قد أفلت منا .

فرد الخريطة أمام وجهه ، وتابع في انفعال :

— هذا الحاجز الجبلى يمتد لثلاثة كيلومترات فحسب ،
وكان يمكننا أن ندور حوله منذ البداية ، ولكن هذا البدوى
الخبيث قادنا كالنعاج نحو هذا المر ، وكأنها يتعمد إيقاعنا في
الفخ .

تجتم (رالف) في تردد :

— يبدو هذا .

طوى (سميت) الخريطة في حزم ، وهو يقول :

— حسنا .. سندور حول الجبل ، وسنواصل المطاردة
وحدنا — أنا وأنت — حتى نصرع ذلك البدوى ، ونستعيد
الأسير الألماني .. هيا .. ستقود أنت .. انطلق .

تفهد (رالف) في استسلام ، وأدار محرك السيارة ،
وانطلق مرة أخرى ..

كان يعلم أنها الجولة الأخيرة ..

جولة مع البدوى ..

ومع الصحراء ..

حاول الألماني أن يبتسم في وهن ، وهو يقول للبدوى :

— رائع أنت أيها العربي .. لقد قدت هؤلاء البريطانيين
إلى الفخ بكل مهارة ، وأوقعت بهم ، و ...

قاطعته البدوى :

— هم قادوا أنفسهم إليه .

تهالك جفنا الألماني ، وراح جسده يرتجف ارتجاجة
منظمة ، لا تتوافق مع ارتجاجات الجواد ، وهو يحاول
المحافظة على ابتسامته ، متمثما :

— هل التواضع أيضا من سمات العرب ؟

تطلع إليه البدوى لحظات في صمت ، ثم تحسس جبهته
المبللة بالعرق ، وقال :

— أنت مصاب بالحمى .

تمتم الألماني :

— يبدو أنها النهاية .. لقد تلوث جرحى ، وفقدت الكثير
من الدماء .

قال البدوى في قلق :

— تماسك .. سنبلغ واحة أخرى بعد قليل ، وهناك
سيداويك شيخها بعقائيرنا ، و ...

قاطعته الألماني :

— لا يا رجل .. إنها النهاية .. إننى أشعر بهذا .

ثم أمسك كفه ، مستطردا :

— هيا .. اتركنى لهم .. اتركنى لهؤلاء البريطانيين ..
سيوقفون مطاردتك حينذاك .

أوقف البدوى جواده ، وهو يقول في لهجة رجل لا يقبل
النقاش :

— محال .

هبط عن الجواد ، وأنزل الألماني ، واتجه نحو صخرتين
متعاقبتين ، في قلب الصحراء ، وأرقده بينهما ، ثم حمل

سرجه ، وصنع له به مظلة ، راح ينثر فوقها الرمال ،
ليحجبها عن الأنظار ، ويغطفى ساقى الألماني بالرمال ،

والألماني يتمتم ، وهو يرتجف من الحمى :

— لا فائدة .

تجاهله البدوى تماما ، وهو ينتزع نطاقه ، ويبلله بالماء ،
ثم يضعه على جبهة الألماني ، ويهد يده له بززميته ، قائلا :

- اشرب .. الماء يخفف الحمى .
- شرب الالماني الماء دون حماس ، ثم قال :
- .. هل تخشى الاعتراف بالهزيمة ايها البدوى ؟ .. لقد
خسرنا المسابق ؛ بسببى أنا ، وسيبلغ البريطانيون موقعا
جنا .
- قال البدوى فى عمق :
- الله (سبحانه وتعالى) يمنح النصر لمن يشاء .
- ابتسم الالماني فى شحوب ، وهو يغمغم :
- بإصراركم ايها العرب .
- اعتدل البدوى بفتة ، وأرهف سمعه لحظات ، ثم قال فى
حزم :
- ابق هنا .
- تمتم الالماني :
- اطمئن .. إننى أعجز حتى عن تحريك سبابتى .
- واندفع البدوى نحو جواده ، ووثب على صهوته ، فى
نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة (الجيب) البريطانية ،
وصرخ (سميث) داخلها :
- ها هو ذا .. الحق به يا (رالف) .. سنقتله هذه
لمرة .
- انتزع مسدسه ، وصوبه إلى البدوى ، الذى ينطلق
بجواده ، فهتف (رالف) ، وهو ينطلق بالسيارة نحوه :
- ولكن أين الالماني ؟



صاح به (سميث) :

— دعك من الألماني الآن ، فليذهب إلى الجحيم ..
سنظفر بالبدوى أولا ، ثم نبحت عنه .

قال كلماته ، وراح يفرغ رصاص مسدسه خلف البدوى ،
الذى أدار عنان جواده بينة ويسرة في مهارة ، متفاديا طلقات
النيران ، ثم انطلق نحو بقعة مستوية ، وهو يحث جواده
على الانطلاق نحوها في إصرار ..

وفجأة ضغط (رالف) كامح السيارة ، فاندفع جسد
(سميث) البدين ليرتطم بزجاجها ، قبل أن يهتف في ثورة :

— ماذا فعلت أيها التعس ؟ .. لماذا توقفت الآن ؟

أجابته (رالف) في توتر :

— أشعر أن هذا العربي يقودنا إلى فخ آخر .

صرخ (سميث) :

— أيها الجبان الرعديد .. إنك لا تستحق شرف نيل
رتبة ضابط ، في جيش الإمبراطورية العظمى .

قال (رالف) في عصبية :

— سيدى .. لا يحق لك أن ...

بغثة دفعه (سميث) في غلظة خارج السيارة ، هاتفا :

— فيما بعد أيها الغبى .. إنك تضع فرصة نادرة .

سقط (رالف) على الرمال ، خارج السيارة ، وعندما
اعتدل ، كان (سميث) يحتل مقعد القيادة ، ويهتف :

— انتظرنى هنا .. سأعود إليك برأس هذا العربي .

وانطلق بالسيارة خلف جواد البدوى ، و (رالف) يصرخ
خلفه :

— انتظر يا سيدى .. انتظر .. إنه الأقوى في هذه
الساحة .. لسنا نعرف الصحراء كما يعرفها .

ولكن (سميث) تجاهله ..

أو أنه لم يسمعه ..

كانت كل حواسه تتجه نحو البدوى ..

لقد أصبحت قضية ثار شخصى ..

أما البدوى ، فقد واصل مدوه بجواده نحو البقعة
المستوية ، ثم انحرف يمينا بغثة ، وعاد مرة أخرى إلى
اليسار ، ووثب بجواده فوق شيء ما ، ثم عاد ينطلق ،
فأطلق (سميث) ضحكة ساخرة عصبية عالية ، وهو
يهتف :

— لن يفيدك هذا أيها العربي .. سأسقطك هذه المرة .

رفع مسدسه ، وصوبه نحو رأس البدوى في إحكام ،
وأضاف :

— كما كنت أسقط وحوش الغابات في (كينبسا) ..
رصاصا واحدة في الرأس ، و ...

وفجأة فقدت السيارة توازنها ، وارتجت في قوة ، ثم بدت
وكأنها تنزلق فوق أرض زلقة ، قبل أن يتوقف محركها دفعة
واحدة ..

وصرخ (سميث) في سخط ، وهو يحاول إدارة محرك السيارة مرة أخرى :

— اللعنة ! .. ماذا أصاب هذه السيارة اللعينة ؟

تعلقت عيناه بغتة بالبدوي ، الذي أوقف جواده على بعد أمتار ، وراح يتطلع إليه في صمت ، بوجهه الذي يخفى اللثام نصفه ، وعينيه السوداويين الحازميين ..

وسرت رجفة مبهمة في جسد (سميث) البدين ..
لماذا توقف البدوي عن العدو ؟ ..

لماذا لم يستغل الفرصة ؛ ليبعد أكثر ، وأكثر ؟ ..
ثم انخفض بصره فجأة ..

انخفض دون أن يخفض هو وجهه ..

عندئذ فقط أدرك (سميث) ما يحدث ..

كانت مقدمة سيارته تغوص ..

تغوص في بحر من الرمال الناعمة ..

في غمخ جديد ، قاده إليه ذلك البدوي ..

واتسعت عيناه (سميث) في رعب ، وراح يتلفت حوله في يأس ..

كان (رالف) بعيدا ..

والبدوي قريب ..

والسيارة تغوص في بحر الرمال الناعمة في سرعة ..

وصرخ (سميث) :

— ما الذي فعلته بي ، أيها العربي الحقير ؟

لم ينبس البدوي ببنت شفة ..

لم يحرك ساكنا ..

بقي فوق جواده جامدا ، ممسكا ببندقيته في سكون وحزم ، كما لو كان تمثالا للصبود والقوة ..

وواصل (سميث) صراخه ، والسيارة تختفي في بحر الرمال :

— هل ستتركني هكذا ، أيها العربي الوقح ؟ .. هيا ..

أخرجني .. هيا ..

بدأ جسده البدين يغوص في الرمال الناعمة ، بعد أن اختفت السيارة تماما ، فتولاه رعب هائل ، وهو يهتف :

— قلت لك أخرجني أيها العربي .. أخرجني أو اقتلك ..

رفع مسدسه نحو العربي ، وصرخ :

— قلت سأقتلك ..

كان جسده يغوص في سرعة ، حتى بلغت الرمال عنقه ، فانتابه فزع جنوني ، وهو يصرخ :

— أيها العربي الحقير .. أيها البدوي الماكر ..

كل هذا دون أن تتحرك عضلة واحدة في وجه البدوي أو

جسده ..

وكل هذا و (رالف) يعدو بكل قوته نحو بحر الرمال

الناعمة ، في محاولة لإنقاذ رئيسه ..

ولكنه وصل متأخرا ..

لقد بلغ المكان ولم يعد هناك أثر لجسد (سميث) البدين ..
 لقي المحتل الغاصب مصرعه ، في قلب الصحراء ..
 وفي هذه اللحظة فقط تحرك البدوي ..
 أدار فوهة بندقيته ، وصوبها نحو (رالف) ، الذي هتف
 وهو يلقي مسدسه أرضاً :
 - لا .. إننى أستسلم .
 كان قد أدرك الآن أن هذه ليست ساحته ..
 وأن البدوي هو السيد هنا ..
 في قلب الصحراء ..
 وفي استسلام تام ، سار أمام جواد البدوي ، رافعاً
 ذراعيه فوق رأسه ، حتى بلغا الموقع ، الذي ترك فيه
 البدوي الألماني الجريح ، فالقى (رالف) نظرة على
 الألماني ، وقال في توتر :
 - أتصدق أن كل هذا قد حدث بسببك ؟
 تهمم الألماني بابتسامة شديدة الشحوب :
 - إننى لفخور بهذا .
 هز (رالف) رأسه في توتر ، ثم التفت إلى البدوي ،
 وقال :
 - والآن ماذا ستفعل بى ؟ .. هل ستقتلنى ؟
 التقط البدوي زمزمية مياه ، وألقاها إلى (رالف) ، وهو
 يقول في حزم :
 - اتبع غروب الشمس ، وستبلغ واحة صغيرة بعد
 مسيرة ساعتين ، وهناك يمكنك تدبير أمر عودتك .



هتف (رالف) في دهشة :

— الا تخشى أن أعود للانتقام منك ؟

أجابه البدوي في حزم رهيب :
— اذهب .

التقت عينا البدوي بعيني (رالف) لحظات ، ثم خفض هذا الأخير عينيه ، متمتا :
— سأذهب .

راقبه البدوي في صمت تام ، وهو يبتعد ، حتى اختفى خلف تل رملي بعيد ، في اتجاه الغرب ، وهنا قال الألماني في وهن :
— لست انهم !

التفت إليه البدوي ، وسأله :
— ما الذي تريد فهمه ؟

قال الألماني ، وقد صار وجهه شاحبا كرمال الصحراء :
— لقد تركت البدين يلتقي مصرعه ، في قلب بحر الرمال الناعمة ، دون أن تمد له يد العون ، ثم تركت ذا الشارب الضخم يرحل ، دون أن تمسه بسوء !!

رفع البدوي عينيه ، يتطلع إلى السماء وهو يجيب :
— لقد استسلم ذو الشارب ، وكان أعزل من السلاح ، وليس من شيمنا أن نقتل العزل ، أما البدين ، فقد ظل بحمل سلاحه حتى النهاية .

صمت لحظة ، ثم أضاف :
— ثم إنه لم يطلب عونا .

سأله الألماني في دهشة :

— أكنت مستنقذه لو فعل ؟

أجابه البدوي في حزم :
— بالتأكيد .

ابتسم الألماني ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :
— إنكم حقا أفضل الفرسان ، أيها العرب .

وازدرد لعابه في صعوبة ، وأضاف :

— أتتصور أنك قد فعلت كل هذا ، دون أن تعرف حتى اسمي ؟

قال البدوي في خفوت :

— وهل للأسماء قيمة ، في مثل هذه المواقف ؟

أوما الألماني برأسه ، مغفما :

— صدقت .. إنني لم أر حتى وجهك .. ولكن هذا لا يهم .. لم يعد بهم .

ثم زاغ بصره ، وهو يستطرده في وهن بالغ :

— أريد أن أصبح عربيا مثلك .. ساعدني كي أص ..

امتدت كلمته على هيئة شهقة خافتة ، تراخي بعدها جسده كله ، وخبا بريق الحياة في عينيه ، فانحنى البدوي يسبلها في خشوع ، ثم اعتدل قائلا :

— هيهات يا رجل .. العربي يولد عربيا .

لأذ بعدها بالصمت تماما ، حتى انتهى من مواراة جثة الألماني الثرى ، ثم وثب على صهوة جواده ، وبقي صامتا ، يتطلع إلى غروب الشمس ، وعيناه تتألقان ببريق جديد ..

لقد قتل اعداءه ، في مواجهة صريحة لأول مرة ..
وانتصر ..

ولقد استعذب هذا النوع من القتال ..
ولن يتوقف عنه ..

لن يتوقف حتى ينزح المحتلون عن أرضه ..
لقد استيقظت في اعماقه روح الفارس ..

فارس هذه الصحراء ..

وفي حماس ، جذب البدوي عنان جواده ، وسمع صهيل
الجواد القوي ، وهو يضرب قائمته الاماميتين في الهواء ،
وبعدها انطلق به في قلب مملكته ..

في قلب الصحراء ..

[تمت بحمد الله]



أمانى

(خواطر)

لم التقي بها سوى مرتين ، لم تتجاوز دقائق الواحدة منهما
عدد أصابع اليدين ، إلا أنه لم يكن من السهل أن يمضي
اللقاءان في بساطة ، كما يمضي أى لقاء آخر مع أخرى ..
هى بالذات كانت تحمل شيئاً ، لابد أن يجذب انتباه
واهتمام أى اديب ، أو كاتب روائى ..

مجموعة من المتناقضات العجيبة ، اجتمعت كلها في أنثى
واحدة ..

كانت تحيط نفسها بهالة من الوقار والالتزام ، تتناقض
كثيراً مع انطلاقتها وحريتها في التعامل مع الآخرين ..
وكانت — وهو الأهم — تملك لساناً لا يعزف بين شفقتها
إلا الحانا مرحة وكلمات فرحة ، في حين كانت عيناها تحملان
طناً من الحزن ..

حزن خفى ، عميق ، مثير ، يبدو وكأنه قد استطاب

١ - عبث ..

« يبدو أن لدينا ناراً هنا .. »

انزعج (رفقى) في شدة ، عندما نطقت زوجته هذه العبارة ، وتخلّى عن الساعة الإلكترونية الدقيقة ، التي ينهك في إصلاحها ، والتفت إليها مردداً في مزيج من الدهشة والاستنكار :

— نار ؟!

لم يكن يزعجه شيء ، بقدر ما تزعجه الفران ، فهو لا يشعر بالاشمئزاز منها فحسب ، وإنما يخشى عبثها بالآلة الدقيقة أيضاً ، التي يتركها عادة على سطح مكتبه ، حتى ينتهى من إصلاح أو تصميم واحدة من الآلات الإلكترونية بالفئة الدقة ، التي يعشقها ..

كان يحمل شهادة هندسية متخصصة في الإلكترونيات ، وكان يجد لذته في التعامل مع هذه الآلات الدقيقة ، والتفوق عليها ، حتى لقد طبقت شهرته الأفاق في هذا المجال ، وراح الجميع يلجئون إليه ، لإصلاح موجه آلى ، أو جهاز تحكم صغير .. أو خلافهما ..

واتخذ (رفقى) لنفسه حجرة منعزلة ، من حجرات القبلا القديمة ، التي يسكنها منذ كان طفلاً ، وجعل منها معبلاً خاصاً له ، يحظر دخولها إلا على زوجته ، التي تقوم بتنظيفها مرة واحدة كل أسبوع ، وهي تحرص على عدم الاقتراب من مكتبه الخاص ، حيث يضع آلاته ..

ولهذا كان من المزعج للغاية أن تخبره زوجته بوجود نار في معمله الخاص ، ولهذا أيضاً وجد نفسه يسألها في عصبية :

— وكيف علمت بوجود هذا النار ؟

أشارت زوجته إلى الركن السفلى لباب المعمل ، وهي تقول :

— لقد قرص جزءاً من الباب .

تطلع إلى حيث تشير ، ولاحظ تلك الفجوة الصغيرة ، التي بدت له شديدة الانتظام ، على نحو مثير للدهشة ، فعقد حاجبيه ، مكرراً :

— نار ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، وانحنى عند ركن الباب ، يفحص الفجوة في اهتمام أكثر ..

كانت منتظمة بالفعل ، على هيئة نصف دائرة ، ذات حواف سوداء ناعمة ، جعلته يفهم للمرة الثالثة :

— نار ؟!

ثم استطرد في توتر :

— ناوليني العدسة الكبيرة .

التقطت زوجته العدسة ، من بين أدواته في حرص ، وناولته إياها ، ووضعها هو على عينيه وعاد يفحص الفجوة في قلق ..

نعم .. إنها شديدة الانتظام ، حتى ليستحيل أن يصنعها حيوان بدائي كالنار ، ثم إن أطرافها محترقة ، و ...

توقفت أفكاره عند هذه النقطة ، ونهض بعيد العدسة إلى موضعها ، ويقول لزوجته في صرامة :

— اتركيني وحدي الآن .

تطلعت إليه في دهشة ، وقالت معترضة :

— المعمل يحتاج إلى تنظيف جيد .. الست ترى ان بقايا الشطائر ، التي تلقيها حولك في إهمال ، هي التي جلبت هذا الفار ؟

دفعها أمامه ، وهو يقول في عصبية :

— ربما ، ولكنني أريد ان أبقى وحدي الآن .

صاحت ساخطة :

— حسنا .. ابحث إن من ينظف وكرك هذا .

انصرفت محنقة ، في حين أغلق هو الباب خلفها في إحكام ، ثم أسرع إلى مكتبه ، وفتح درجا سريرا فيه ، ولم يكذب بلقى نظرة على محتوياته ، حتى تنهد في ارتياح ، وقال :

— حمدا لله .. إنها هنا .

أعاد الدرج إلى موضعه ، والتقط ساعة الهاتف ، وضغط أزرار رقم خاص ، وانتظر حتى أتاه صوت محدثه من الطرف الآخر ، فقال :

— صباح الخير يا (سمير) .. هناك أمر عجيب يحدث هنا .

هتف (سمير) عبر أسلاك الهاتف :

— هل سرقوا اختراعك ؟

أجابه (رفقي) في توتر :

— لا ، ولكنني أظنهم يحاولون .

قال (سمير) في سرعة :

— سأتي إليك على الفور .

انتهى المحادثة في سرعة ، وأدرك (رفقي) أنه سيستقل سيارته ، ويهرع إليه على الفور ، فأعاد ساعة هاتفه إلى موضعها في ببطء ، وسبح عقله في ذكريات قريبة ..

كان عشقه للإليكترونيات الدقيقة ، ودراسته لها ، قد امتزجا في عقله المتفوق ، وانجبا اختراعا جديدا ..

ساعة إلكترونية حديثة ، لا تحتاج إلى أية طاقة محرقة ، وإنما تستمد طاقتها من نبض معصم من يرتديها ..

ولقد تسرع بعرض الفكرة على بعض أقرانه ، في لحظة غلبه فيها الزهو بنفسه ، فنقلها أحدهم إلى وكيل إحدى شركات الساعات العالمية ، وراح هذا الوكيل يلح عليه لشراء اختراعه ، ولكنه رفض رفضا باتا ، معلنا أنه لن يهب اختراعه هذا إلا لوطنه فقط ..

ومنذ ذلك الحين ، براوده الخوف من محاولة هذه الشركة الأجنبية سرقة اختراعه ..

ومنذ ذلك الحين أيضا ، يخفي الساعة في الدرج السري ، المختفى في مكتبه ، حتى ينتهي من صنعها ، ويعلم كشفه على الملأ ..

تحسس موضع الدرج السري مرة أخرى ، وكأنها يطمان

على وجود السامة ، ثم التقت إلى الفجوة المنتظمة في ركن الباب السفلى ، وغمغم :

— ترى ما الذى يحاولونه بالضبط ؟

شرد بأفكاره لحظات ، حتى سمع طرقا على الباب الآخر للحجرة ، الذى يقوده إلى الحديقة ، فأسرع يفتحه قائلا :

— صباح الخير يا (سمير) .. كنت أعلم أنك ستصل على الفور .

صافحه (سمير) فى لهفة ، ثم سألته :

— ما الذى أثار شكوكك ؟ .. ما الذى فعلوه هذه المرة ؟

أشار (رفقى) إلى الفجوة ، قائلا :

— هذا ما فعلوه .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الفجوة ، وقال فى دهشة تحمل رنة قلق :

— ما معنى هذا ؟

ناولته (رفقى) عدسته ، وهو يقول فى عصبية :

— انحصها يا (سمير) .

تناول (سمير) العدسة ، وانحنى يفحص الفجوة المنتظمة فى اهتمام بالغ ، ثم اعتدل قائلا :

— ما الذى تظنهم يحاولونه ؟

أجابته (رفقى) فى حدة :

— سرقة الاختراع بالتأكيد .

نهض (سمير) قائلا :

— بوساطة هذه الفجوة ؟!

هز (رفقى) كتفيه ، وقال :

— من يدري أية وسيلة سيتبعون ؟

لم يبد الاقتناع على وجه (سمير) ، الذى راح ينقل عينيه بين بابى الحجرة ، قبل أن يقول :

— يبدو أنه علينا أن نبحث عن تفسير آخر يا (رفقى) .

قال (رفقى) فى عصبية :

— ولماذا ؟

أشار (سمير) إلى الباب المؤدى إلى الحديقة ، وقال :

— لأنه ليس من المنطقى أن يتجاهل أى مقتحم هذا الباب ،

الذى لا يقود إلا إلى حديقة صغيرة ، يمكنه أن يختفى

فيها ، وهو يؤدى عمله ، دون أن يشعر به أحد ، ويخاطر

بدخول الفيلا ، وعبور ردهتها كلها ، للوصول إلى الباب

الأخر .

كان التفسير منطقيا للغاية ، حتى أن (رفقى) قد شعر

بالارتباك ، فغمغم :

— من تظنه فعل هذا إذن ؟

تطلع (سمير) إلى الفجوة فى حيرة ، وهز رأسه ،

قائلا :

— لست أدري .. ربما ..

قاطعته (رفقى) فى عصبية وتوتر :

— لا تقل لى إنها الفتران ، كما تقول زوجتى .

اتسعت عينا (سمير) فى ارتياح مباغت ، وهتف :

— الفتران ؟! .. يا إلهى !!

ارتفع حاجبا (رفقى) فى دهشة ، لم تلبث أن انقلبت إلى

قلق عارم ، وهو يسأل صديقه :

— ما الذى اثار ذعرك إلى هذا الحد ؟

هتف به (سمير) :

— ألم تقرا صحف الصباح ؟

تضاعف قلق (رفقى) ، وهو يجيب :

— لا .. لم افعل بعد .. لماذا ؟

ازدرد (سمير) لعابه ، وكأنها يحاول التغلب على

انفعاله ، وقال :

— هناك خبر صغير ، يتحدث عن عالم امريكى ، يجرى

ابحاثا مشتركة مع احد علمائنا ، فى المركز القومى للبحوث ،

حول تنمية ذكاء الفئران ، وتدريبها على القيام باعمال

خاصة ، تفيد الجهات العسكرية .

ساله (رفقى) فى حيرة :

— وما الذى يعنيه هذا ؟

تابع (سمير) ، وكأنه لم يسمع تعليق صديقه :

— ولقد نجح العالمان فى تنمية ذكاء الفئران إلى درجة

كبيرة ، ودرباها على استخدام اسلحة ليزر صغيرة ،

والتسلل إلى مراكز الاعداء ومخازن ذخيرتهم ، و ...

قاطعه (رفقى) فى توتر وقلّة صبر :

— وما صلة هذا بموقفنا ؟

ازدرد (سمير) لعابه فى صعوبة ، وقال :

— باختصار صارت هذه الفئران اشبه بكتيبة انتحارية

صغيرة ، و ...

لم يطق (رفقى) صبرا ، وهتف :

— وماذا ؟

تطلع إليه (سمير) فى قلق واضح ، واجاب :

— ومع غروب شمس امس ، حدث ما لم يتوقعه احد .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— هربت الفئران .

عندئذ ادرك (رفقى) ما يعنيه صديق عمره ..

وارتجف ..



٢ - الحرب ..

مستحيل !!

ردد (رفقى) هذه الكلمة في أعماقه ألف مرة ، وهو يتطلع إلى الفجوة المنتظمة ، بعد انصراف (سيمير) .. ولم ينجح عقله في الاقتناع بالأمر أبدا .. مستحيل ان يكون هذا المتسلل مجرد فار !! .. مستحيل !! ..

دار الامر في ذهنه عشرات المرات ، ثم التقط عدسته في عصبية ، وانحنى يفحص الفجوة مرة أخرى .. فجوة منتظمة ، محترقة الأطراف .. ما الذى يمكنه ان يصنع مثل هذه الفجوة ؟ .. قفز الجواب إلى ذهنه ، وارتجف له قلبه .. نعم .. إنها أشعة الليزر ..

فئران مزودة بمدافع ليزر صغيرة ..

حاول ان يتخيل الفئران ، وهى تحمل أسلحتها الصغيرة ، وتطلقها على الباب ، إلا أن المشهد بدا له أشبه برسم هزلى ،

روايات مصرية للجيب - كوكتيل ٢٠٠٠ ١٧٥

من رسوم (والت ديزنى) (*) فهز رأسه ينفضه عنه ، وعاد يكرر :

— مستحيل !

إلا أن الفكرة — على الرغم من غرابتها — لم تفارق ذهنه ، بل راحت تلح عليه فى إصرار عجيب ، جعله يتمتم فى خفوت ، وكأنها يتحدث إلى نفسه :

— ولماذا تتسلل هذه الفئران إلى معملى ؟ .. ما الذى تبحث عنه ؟

طافت بذهنه صورة العدد والأدوات الإلكترونية الدقيقة ، التى يمتلكها فى معمله ، وقفزت إلى ذهنه فكرة مخيفة ، جعلته يفهم :

— أمن الممكن ان ... ؟ ..

لم يستطع إتمام جملته ..

كانت الفكرة مخيفة وخيالية للغاية ..

(*) (والت ديزنى) (١٩٠١ - ١٩٦٦ م) : رسام ومخرج أمريكى ،

بعد أحد مبتكرى الرسوم المتحركة ، وصاحب شخصية (ميكى ماوس)

(١٩٢٨ م) ، ومنتج أول فيلم روائى من أفلام الرسوم المتحركة

(سنو وايت والامزام السبعة) (١٩٣٨ م) ، اقام مدينة (ديزنى لاند)

للملاهى ، وهى أشهر مدن الملاهى فى العالم ، وانفتحت عام ١٩٥٥ م فى

(كاليفورنيا) .

ربما كانت هذه الفئران الذكية تسعى لصنع سلاح إلكترونى قوى ..
سلاح يمنحها القدرة على الدفاع عن نفسها ضد البشر ، أو ...
أو السيطرة عليهم ..
وراح عقله يرسم صورة منطقية لهذه الفكرة العجيبة ،
ويتصور هذه الفئران ، وهى تنتج جيلا من الفئران المتطورة ،
القادرة على التسلل إلى المفاعلات النووية ، ومراكز الذخيرة ، وتدميرها ، أو تهديد العالم بذلك ..
إنها حرب جديدة ..
حرب بين البشر والفئران ..
ارتاع للفكرة ، وعاد يحدق فى الفجوة برعب ، ثم لم يلبث أن استدار إلى مكتبه ، وراح يفتح أدراجه فى قلق ، ويفحص ما لديه من أدوات ، وهوى قلبه بين ضلوعه ..
لقد تحققت مخاوفه ..
لقد اختفت دائرة من دوائر السيليكون الدقيقة ..
لقد سرقت الفئران أول قطعة ، فى السلاح الجديد ..
أغلق أدراج مكتبه ، وراح قلبه ينبض فى عنف ..
لماذا وقع اختيارهم عليه ؟
لماذا انتقوه من بين بنى البشر ؟
هل يعلمون أنه يحتفظ بمثل هذه الأشياء ؟
هل يدركون مهارته فى التعامل مع الإلكترونيات الدقيقة ؟

أم هو القدر ؟



القدر الذى قادهم إليه بالذات ؛ لأنه خير من يواجههم ،
وينتقد العالم من خطتهم الجهنمية ..
نعم .. سيواجههم ..

سيشعل الحرب بينه وبينهم ..
وبكل ما ملأ نفسه من الحماس ، اندفع إلى حيث زوجته ،
وسألها فى انفعال :

— كيف تصطادون الفتران ؟

حدقت فى وجهه بدهشة ، وخيل إليها أنه قد أصيب
بالجنون ، إلا أنها آثرت اتقاء ثورته ، التى تنقابه عندها
تعارضه ، وهو يمر بحالة غضب أو حماس ، فأجابت فى
حذر :

— ضع مصيدة فتران .

سألها فى اهتمام :

— وما مصيدة الفتران هذه ؟

ضحكت قائلة :

— عجباً !! .. كل هذه العبقرية ، وتجهل ما هى مصيدة
الفتران ؟ .. إنها عبارة عن قفص من الأسلاك ، له باب
يتحرك فى اتجاه واحد ، توضع داخله قطعة من الجبن ؛
لجذب الفتران ، وعندما يدخل الفأر إلى المصيدة ، يغلق
بابها خلفه ، فيصبح حبيساً داخلها .

عقد حاجبيه يفكر فى هذه الوسيلة ، التى بدت له بدائية
للغاية ، ثم هز رأسه ، قائلاً :

— لا .. ليست بالوسيلة المناسبة .

قالت فى ضجر :

— ضع لها بعض السم فى قطعة لحم صغيرة إذن .
أجابها فى جدية :

— لن يخدعهم هذا .

أطلقت ضحكة عالية ، وقالت :

— لماذا ؟ .. أهى فتران ذكية إلى هذا الحد ؟

كاد يشرح لها الأمر ، ويؤكد لها أن الفتران التى يواجهها
ذكية بالفعل ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع عن هذا ، لثقته بانها
لن تستوعب الأمر ، واكتفى بأن تتمم :

— ربما كانت كذلك بالفعل .

قالت ساخرة :

— لا تعاملها كفتران إذن .

لم ينتبه إلى رنة السخرية فى صوتها ، وإنما أوما برأسه
قائلاً :

— أنت على حق .

أدهشها أن أسرع ينصرف ، بعد هذا القول ، فتابعته
ببصرها فى حيرة ، قبل أن تهز رأسها فى أسف ، قائلة :

— يا لحظى فى الزواج !

أما هو ، فقد اتجه على الفور إلى معمله ، وأغلقه خلفه فى
إحكام ، ودفن صندوقاً صغيراً نحو الفجوة ؛ ليسدها تماماً ،
قبل أن يبدأ عمله ..

وانهمك فى عمل بالغ الدقة ..

كان يصنع جهازا إلكترونيا خاصا ، انتهى من صنعه في ساعة كاملة ، ثم راح يثبت جزئيه في نقطتين متقابلتين عبر المعمل ، حتى انتهى من عمله ، فاعتدل يتأمل نتيجته في ارتياح ، وقال :

— سأتعامل معها كما ينبغي .

فرك كفيه مزهوا بعمله ، وهو يزيح الصندوق الصغير جانبا ، كاشفا الفجوة ، ثم يغادر معمله ..

لقد صنع السلاح المناسب لهم ..

عندما يعبر هؤلاء الفتران الفجوة في المرة القادمة ، لسرقة أداة إلكترونية أخرى من معمله ، سيقطعون بأجسادهم خيطا غير مرئي من الأشعة دون الحمراء ..

وعندئذ يعمل جهازه ..

سينطلق جهاز إنذار خاص ، ويسقط حاجز امام الفجوة ..

وسيسجن الفتران في معمله ..

ابتسم في سعادة لبراءة فكرته ، وقضى ما تبقى من يومه في لهفة لقدم الليل ، وبدء حربه الخاصة ..

وخيل إليه ان الدقائق تضي كالساعات ، والساعات تسير كالدهور ..

ولكن لكل شيء نهاية ..

اقبل الليل ، ومد أستاره على الدنيا كلها ، واخذت معظم مخلوقات الله (عز وجل) إلى النوم ، فيما عدا القليلين

منهم ..

ومن هؤلاء القليلين كان (رفقى) ..

والفتران ..

وبالنسبة لـ (رفقى) مضى الليل بطيئا ، دون أن يغمض

له جفن ..

ثم انطلق الإنذار فجأة ..

ومع انطلاقته ، انتفض جسد (رفقى) في شدة ، وهبت زوجته من نومها مذعورة ، وتشبثت به في ذعر ، هاتفة :

— ماذا حدث ؟

أزاح يدها في انفعال ، وهو يقول :

— لا شيء .. عودى إلى النوم .. إنها تجربة صغيرة ،

كنت أجريها في معملى .

تمتت في دهشة :

— تجربة ؟!

أجابها وهو يرتدى خفيه في سرعة :

— نعم .. تجربة .. هيا .. عودى إلى النوم .

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تراقبه بهرع خارج

الحجرة ، ثم لم تلبث ان غمغمت في أسى :

— ما أسوأ حظى في الزواج !

وعادت تغرق في نوم عميق ..

وفي نفس الوقت ، كان (رفقى) قد بلغ معمله ، واللهفة

تملا جسده ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ..

ولكن فجأة تلاشت كل هذه اللهفة ، عندما بلغ باب

المعمل ..

تلاشت ليحل محلها الخوف ، المتزج بالكثير من القلق ..
كيف سيواجه هذه الشران ..
هل نسي أنها تحمل مدافع ليزر صغيرة ، نجحت في صنع
نجوة في باب معمله ؟ ..

ماذا لو أنها أطلقت هذه المدافع عليه ؟ ..
أقلقه هذا الخاطر لحظات ، تسمر خلالها أمام باب معمله ،
ثم لم يلبث فضوله أن هزم قلقه ، فقال في توتر :
— لن تقتلني تلك المدافع الصغيرة حتما .

تشبث بالفكرة ، وتحرك بسرعة ، خشية أن يعاوده
خوفه ، ففتح باب المعمل ، ودلف إليه في خفة ، ثم أغلق
الباب خلفه في إحكام ، وأضاء الأتوار ..

وتحت الأضواء القوية ، بدا له المعمل خاليا ..
خاليا تماما ..

وامتلأت نفسه بالدهشة ..

لقد انطلق الإنذار بالفعل ، وهذا يعنى أن جسما ما قد عبر
خيط الأشعة دون الحمراء ، وأغلقت الفجوة خلفه ..

فأين هذا الجسم ؟ ..

أين الشران ؟ ..

دارت عيناه في أرجاء المعمل كله ، ثم توقفت عند مكتبه ،
وصوان الأدوات الصغير المجاور له ..

روايات مصرية للجيب — كوكيل ٢٠٠٠

١٨٣

هذا هو المكان الوحيد الصالح للاختباء ..

اتجه بسرعة نحو مكتبه ، وراح ينحس أدراجه في حذر ..

ولكن الأدراج كلها كانت خالية ..

وتضاعفت حيرة (رفقى) ..

كيف انطلق الإنذار إذن ؟ ..

كيف عمل ، دون أن يخترق شيء ما خيط الأشعة دون

الحمراء ؟ ..

وفجأة وقع بصره على صوان الأدوات الصغير ، وبالتحديد

على تلك الفرجة الضئيلة ، بينه وبين زاوية الحائط ..

كانت مسافة صغيرة بالنسبة لقط ، لكنها كبيرة بالنسبة

لغار ..

وبالذات لو كان غارا نكيا .

نعم .. إنها أصلح مكان للاختفاء ..

بقى يتطلع إلى المسافة المظلمة في حذر ، ثم لم يلبث أن

حسم أمره ، وقرر فحصها ..

وفي حزم ، أزاح مكتبه جانبا ، ثم ركع على ركبتيه ، وانحى

ينظر في الفرجة المظلمة ..

وانتفض جسده ..

٣ - من؟! ..

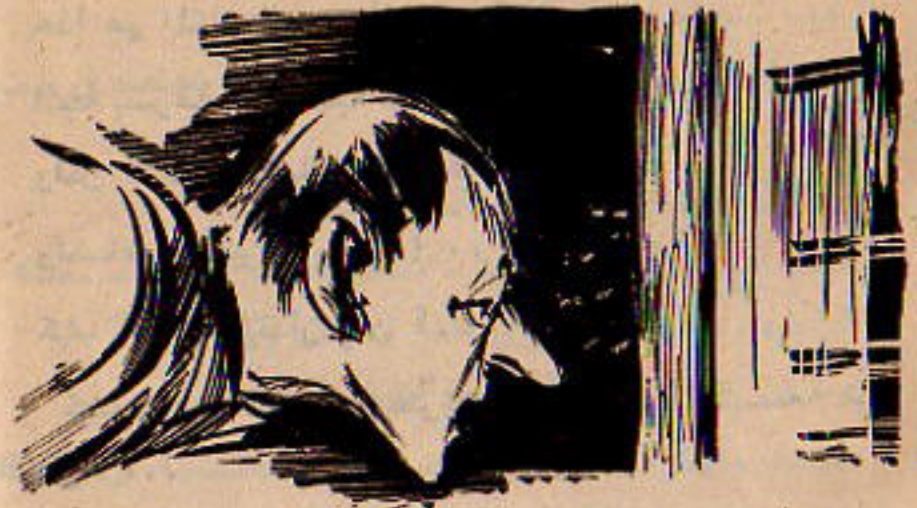
« لقد عثرت عليه في هذا الوضع .. »
تسللت هذه العبارة ، بصوت زوجته إلى أذنيه ، مختربة
حاجزا من الصداع والألم ، جعله يغمغم :
- أين أنا ؟

عادته ذاكرته في بطنه ، وهو يفتح عينيه ، والمشهد يبدو
أمامه مهتزاً مشوشاً ، ثم يتضح تدريجياً ، ويبدو فيه وجه
صديقه (سمير) ، وهو ينحنى نحوه في قلق ، ومن خلفه وجه
زوجته ، التي تقول في لهفة :
- لقد استعاد وعيه .

أمسك (سمير) كتفيه ، وسأله في اضطراب :
- ماذا حدث يا (رفقي) ؟
أجابته وهو يقاوم ذلك الرنين المؤلم ، الذي يعصف
برأسه :

- لقد أطلقوا على أشعة الليزر .
عقدت زوجته حاجبها في دهشة ، في حين سأله (سمير)
في حيرة :

- أشعة الليزر؟! .. من هؤلاء ؟
أجابته ممسكا رأسه من الألم :
- الفئران .



كانت هذه العيون الصغيرة تحقق فيه وسط الظلام ..
ثم تالق جسم بالغ الصفر ..
وانطلق خيط من الأشعة ..
واظلمت الدنيا أمام (رفقي) تماما ..
وهوى ..



اتسعت عينا (سمر) في دهشة ، وتراجعت زوجة (رفقى) في حدة ، وراحت تحديق في وجه زوجها ، كما لو كانت تنظر إلى مجنون ، و (رفقى) يستطرد في توتر :
 — انظر .. لقد أصابتني الأشعة في منتصف جبهتي تماما .. هل ترى الثقب الذي تركته فيها ؟
 التقى حاجبا (سمر) ، وهو يقول :
 — لا توجد ثقوب .
 ثم التفت إلى زوجة (رفقى) ، وأضاف :
 — سيدتى .. أظن زوجك يحتاج إلى قدح من القهوة المركزة .

تطلعت إليه الزوجة في صمت ، ثم أسرعته تغادر المكان ، وكأنها ترحب بابتعادها عن وكر الجنون هذا ، في حين عاون (سمر) صديقه على النهوض ، وأجلسه على مقعده الخاص ، وهو يسأله :

— أخبرنى الآن ، ماذا حدث بالضبط ؟

أجابته (رفقى) ، وآلام رأسه تتلاشى في بطنه :
 — هل تذكر فئران مركز البحوث ؟ .. تلك الفئران الهاربة .. إنها هنا .

تراجع (سمر) ، هاتفا في دهشة :
 — هنا ؟!

أوما (رفقى) برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم .. هنا .. إنها تحاول سرقة بعض معداتي الإلكترونية ؛ لصنع سلاح جديد ، يمنحها المزيد من القوة ، و ...

قاطعه (سمر) :

— (رفقى) .. ماذا بك ؟ .. يبدو أنك قد أرهقت نفسك في العمل .

صاح (رفقى) في عصبية :

— اتظننى قد أصبت بالجنون ؟

أجابته (سمر) :

— لا يا (رفقى) .. بالتأكيد لا .. وإنما تبذل جهدا زائدا في عملك ، و ...

قاطعه (رفقى) في حدة :

— لا يا صديقى .. لست واهما أو مجنونا .. انظر هناك .. لقد وضعت خلية كهروضوئية هنا ، لضبط من يتسلل عبر الفجوة .. انظر إليها .. لقد حطمها هؤلاء الفئران ، بعد أن انفقدونى الوعى ، واراهاك أنهم قد سرقوا شيئا آخر .

فتح أدراج مكتبه في عصبية ، وراح يحص أشياءه ، ثم صاح :

— أرايت ؟ لقد سرقوا واحدة من شاشات الكوارتز البالغة الدقة .. أرايت ؟

شعر (سمر) بقلق حقيقى تجاه صديقه ، فنهض يربت على كتفيه ، ويغمغم مشفقا :

— لا بأس يا (رفقى) .. أنا أصدقك .

صرخ (رفقى) :

— بل أنت تتصور أننى مجنون .

سمع (سمير) ارتجافة قدح القهوة ، في يد الزوجة ، التي عادت إلى المعمل في هذه اللحظة ، ولكنها لم تحاول تجاوز بابها ، فأسرع يلتقط منها قدح القهوة ، وهو يقول :
— شكرا يا سيدتى .

همست الزوجة في ارتياح ، وهي تتطلع إلى زوجها :
— أخبرنى يا استاذ (سمير) ، ولا تحاول إخفاء الامر عنى . . هل أصيب بالجنون ؟
حاول (سمير) أن يبتسم ، او يذفع بعض الثقة في صوته ، وهو يقول :

— لا ياسيدتى . . أؤكد لك ان هذا لم يحدث .

ولكن صوته خلا من تلك النبرة الواثقة ، التي عجزت عن تجاوز قلعه وشكوكه ، فجاءت اثبته بيقرار تام بالامر ، فانتسعت عينا الزوجة هلعا ، وهتفت :

— هل اتصل بمستشفى الأمراض الـ

قاطعتها صرخة (رفقى) الغاضبة :

— أى مستشفى أيتها المأمونة ؟ . إذهبى إلى حجرتك . . هيا .

ركضت الزوجة مبتعدة عن المعمل في ذعر ، في حين تنحنح (سمير) في حرج ، وقال وهو يضع قدح القهوة أمام صديقه :

— اغفر لى تدخلى في شؤونك الشخصية يا صديقى ، ولكننى اظنك تسيء معاملة زوجتك كثيرا ، في حين انها كانت شديدة الذعر والقلق ، عندما عثرت عليك فاقدم الوعى هنا ، ومن الواضح انها تحمل لك الكثير من الحب ، و . . .

قاطعه (رفقى) :

— دعك من مشاكلى العائلية الآن ، وأخبرنى : الا توجد أية ثقوب في جبهتى حقا ؟

تطلع إليه (سمير) في دهشة ، وأجاب :

— لا توجد أية ثقوب بالتأكيد يا (رفقى) ، ولكن لـماذا تتصور وجودها ؟

تراجع (رفقى) في مقعده متوترا ، والتقط قدح القهوة ، وأفرغه كله في جوفه دفعة واحدة ، ثم سعل وتنحنح ، وسأل صديقه ، وقد استعاد شيئا من هدوئه :

— قل لى يا (سمير) : لماذا تغلبنى فقدت الوعى هنا ؟

هز (سمير) رأسه في حيرة ، وقال :

— انتهى ان اعلم .

مال (رفقى) نحوه ، وقال :

— اسمعنى جيدا إذن ، وحاول ان تبعد عن عقلك فكرة إصابتى بالجنون ، وستجد اننى على حق ، على الرغم من غرابة الامر .

راح يقص كل ما دار بخاطره ، وكل ما حدث ، على مسامع صديقه ، الذى استمع إليه في دهشة ، وكثير من الشك وعدم التصديق ، حتى انتهى (رفقى) إلى لحظة انطلاق الأشعة

نحوه ، وفقدانه الوعى ، فهتف (سمير) في دهشة :

— هل رأيت تلك القنران بالفعل ؟

أجابه (رفقى) في حماس :

— رأيت عيونها الصغيرة ، وهى تتالق في الظلام ، قبل

ان تطلق أشعتها نحوى .

تراجع (سمير) في دهشة ، وراح يهز رأسه في حيرة ،
ثم قال :

— ولكنها لم تطلق عليك اشعة الليزر بالتأكيد ، فأرسك
لا يحمل اية آثار للإصابة بها .

قال (رفقى) :

— إنه نوع آخر من الأشعة إذن ، فمن المحتمل ان هذين
العالمين في مركز البحوث يخفيان نوع الأشعة الحقيقي ، او
انهما مضطران لإخفائه ، لاسباب عسكرية ، ولكنني شعرت
بالآلام مبرحة في رأسي ، عندما أصابتنى هذه الأشعة .

زوى (سمير) ما بين حاجبيه ، وقال :

— هذا عجيب !!

ثم نهض مستطردا :

— الأمر يحتاج إلى بحث جاد يا صديقى .. وعلى أية حال ،
سأحاول أنا من ناحيتي دراسة الأمر ، وسؤال عالمي مركز
البحوث عن حقيقة هذه الفئران .

سأله (رفقى) في لهفة :

— أظنهما سيخبرانك بالحقيقة ؟

هز (سمير) كتفيه ، وقال :

— لا بأس من المحاولة .

انصرف (سمير) ، والشك يمتزج في أعماقه بالحيرة ، في
حين بقي (رفقى) يتطلع إلى معمله ، و يفهم :

— نعم .. لا بأس من المحاولة .

تذكر موقفه مع زوجته ، فغادر معمله ، وبحث عنها في
القبلا ، حتى عثر عليها تبكي في حجرة نومها ، ولم تكذ تراه
حتى انكمشت على نفسها في خوف وذعر ، فابتسم محاولا
تخفيف توترها ، وجلس إلى جوارها على طرف الفراش ،
وأحاط كتفها بذراعه ، وهمس :

— أنا اعتذر .. لقد كنت سخيفا معك بالفعل .

تطلعت إليه في دهشة ، فلم يسبق له ان جاهر قط
بالاعتذار ، منذ خطبتها وزواجهما ، فمسحت دموعها
بأناملها ، وتمتمت :

— إننى حزينة من أجلك .

أدرك ما تعنيه ، وأنها لن تفهم ما يحدث ، فأجبر نفسه
على الابتسام في مرح زائف ، وهو يقول :

— اتقصدين قصة الفئران؟! .. إنه حلم يا عزيزتى ..

حلم سخي ، او هو كابوس هاجمنى ، وأنا فأقد الوعي ،
وعند استعادتى وعيى ، خيل إلى أنه حقيقة .. أنت تعلمين
تشوش الذهن ، عندما يستعيد المرء وعيه .

سألته في دهشة :

— ولكن لماذا غقدت الوعي ؟

أجابها في سرعة :

— انزلت وأنا انحص المكتب ، فارتطم رأسى بصوان

الادوات الصغير .. هذا كل شيء .

تطلعت إليه لحظات في شك ، ثم تنهدت قائلة :

— كل هذا من أجل الفئران؟!!

أبتسم مرغما ، وقال :

— وماذا أفعل ؟ .. إنه نوع سخيف من الفئران ،
لا تخدعه المصائد العادية .

قالت في خفوت :

— استخدم الدقيق إذن .

سألها في دهشة :

— أى دقيق ؟

أبتسمت وهي تجيب :

— إنها وسيلة قديمة ، كانت تستخدمها جدتي ؛ لمعرفة
أوكار الفئران ، والقضاء عليها في جحورها .
اعتدل في اهتمام شديد ، وسألها :

— كيف ؟

أجابته ، وقد أسعدها اهتمامه بحديثها :

— كانت جدتي تنثر بعض الدقيق في أرضية المطبخ ،
لتنطبع فوقه آثار أقدام الفئران ، فتعلم جدتي من أين جاءت ،
وإلى أين تذهب ، و ...

قفز من مكانه ، مقاطعا إياها بهتاف مدو :

— نعم .. هو ذا .

تراجعت في دهشة وخوف ، وهي تقول :

— ماذا حدث ؟

أنحى يقبل وجنتها في حرارة ، وهو يهتف :

— لقد ساعدتني كثيرا يا عزيزتى .. شكرا لك ..

شكرا لك .

وانطلق يعدو عائدا إلى معمله ، واتسعت عيناها هي في
دهشة ، ثم انحدرت دموع حزن من عينيها ، وهي تغغم :

— يا لحظى !!

وفي معمله ، بحث (رفقى) في أدراج المكتب في لهفة ، ثم
انتزع بخاخة صغيرة ورفعها أمام عينيه ، وقال في انفعال :

— أخيرا سيمكننى استغلال هذه الهدية .

وفي حماس ، راح ينثر السائل الخفيف غير المرئى ، على
أرضية المعمل ، وهو يتراجع في حذر ..

كان هذا السائل من نوع خاص ، لا يمكن رؤيته إلا بوساطة
منظار خاص ، وكان المفروض أن يستخدمه لرش أجزاء بالغة
الدقة ، تمثل بعض الدوائر الخاصة ، بحيث يمكنه وحده
تعرفها باستخدام المنظار ، وقت اللزوم ..

وعندما بلغ باب المعمل ، أبتسم (رفقى) في ارتياح ،
وقال :

— هكذا سأعلم من أين تأتون أيها الفئران .

قضى يومه هذا مرحا ، بعد أن انتهى من وضع هذا الفخ
المبتكر ، وشعرت زوجته بالدهشة ، لاهتمامه البالغ بها طيلة
الوقت ، ولكن هذا أسعدها كثيرا ، فتلاشت معه دهشتها ،
واكتفت بالاستمتاع بوقتها معه ..

ومع مقدم الليل ، انتهت لحظات الاستمتاع ، فقد عاد
(رفقى) عصبيا متوترا ، مما جعلها تقول في ضجر :

— حسنا .. اظننى سأوى إلى فراشى مبكرة الليلة .

غادرته إلى حجرة نومها ، في حين شعر هو بتوتره
يتزايد ، وراح يدور حول نفسه في عصبية ، ويتجه نحو
معمله ، ثم يتراجع ، حتى هتف فجأة :
— لن يضيرني أن ألقى نظرة .

وضع المنظار الخاص فوق عينيه ، واتجه في حزم إلى
معمله ، وفتح بابه ..
وخفق قلبه في عنف ..
كان من الواضح ان كائنات دقيقة قد خطت فوق
السائل ، و ...

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..
وانتفض جسده في عنف ، مع الرنين المبالغت ، وهتف في
حنق :

— اللعنة !.. يا له من وقت غير مناسب على الاطلاق !
راودته فكرة تجاهل رنين الهاتف ، إلا أنه خشى أن يكون
المتحدث هو صديقه (سمير) ، حاملاً معلومات جديدة ،
فأسرع يلتقط سماعة الهاتف ، قائلاً :

— من المتحدث ؟

كان تخمينه صحيحاً ، وأتاه صوت صديقه (سمير) ،
يقول :

— إنه أنا يا (رفقي) ، لن تصدق ما علمته من مركز
البحوث .



سأله في فضول شديد :

— ما الذى علمته ؟

كانت المفاجأة التى يحملها (سمير) مذهلة بحق ، انتفض لها عقل (رفقى) وسط جمجمته ، عندما قال (سمير) :

— لقد عادت الفتران ..

اتسعت عيننا (رفقى) ، وهو يهتف :

— عادت !؟

أجابه (سمير) :

— نعم .. لقد انتحلت شخصية صحفى ، والتقيت بعالمى مركز البحوث ، وسألتها عن مصير الفتران الهاربة ، فأخبرانى أنها عادت إلى أقباصها بعد ساعات من فرارها ، ولكن الصحفى الذى نشر خبر الفرار ، لم يجد أن خبر العودة يحمل نفس الإثارة ، فتجاهل نشره .

لم يكن (رفقى) يستمع إلى التفاصيل ، بل كان عقله كبير كان يغلى ..

كيف عادت الفتران ؟ ..

ما الذى يحاربه فى منزله إذن ؟ ..

ما الذى ؟ ..

توقفت أفكاره بغتة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، من خلف المنظار الخاص ، وهو يحرق فى تلك الآثار الضئيلة ، التى تركتها اقدام الكائنات الصغيرة ، والتى تمتد إلى خارج المعمل ..

فعلى الرغم من صغر الآثار الشديد ، أمكنه تمييزها فى وضوح ..

كانت آثار اقدام ..

اقدام بشرية ..



٤ - النجدة !!..

ارتفع صوت (سمير) ، عبر أسلاك الهاتف ، يقول :

— هل تسمعني يا (رفقى) ؟ .. هل تسمعني ؟

قالها في انزعاج كامل ، بعد أن مضت دقيقة كاملة ، لم يسمع خلالها صوت صديقه ، وانزعج (رفقى) نفسه من ذهوله ، وهو يتمتم :

— نعم يا (سمير) .. اسمعك .. ولقد فهمت .. فهمت كل شيء .

قال (سمير) :

— لا تجعل هذا يقلقك يا صديقي ، إنه بعض إرهابي العمل ، و ...

قاطعه (رفقى) :

— بالتأكيد يا صديقي .. بالتأكيد .

وأعاد سماعه الهاتف إلى موضعها ، وعيناه مركرتان على آثار الأقدام البشرية البالغة الدقة ، التي تعبر الممر الطويل ، الذي يقود إلى عمله ..

وبألية كاملة ، راح (رفقى) يتعقب آثار الأقدام ، عابرا ردهة الفيلا ، ومتجها إلى سلمها الخارجي ، الذي يقوده إلى سطحها ..

وعلى السطح ، كانت آثار الأقدام تتجه نحو حجرة قديمة مهجورة ، كانت والدته تستخدمها في حياتها لتخزين بعض المواد التلويينية ، فتبع (رفقى) الآثار ، وفتح باب الحجرة القديمة ، التي تهدم الجزء الأكبر من سقفها ، و ...

واتسعت عيناه في دهشة ..

فهنالك ، في ركن الحجرة ، كان يستقر هذا الشيء ..

شيء أشبه بطبق مقلوب ، لا يزيد قطره على نصف المتر ، في حين تتألق أعلاه كرة مضيئة ، وتبدو فيه ثقبوب دقيقة ، يشع منها الضوء ..

وفي انبهار كامل ، انحنى (رفقى) يفحص هذا الشيء ..

كان أشبه بطبق طائر ، من تلك الأطباق التي يتحدثون عنها ، ويصفونها بأنها أجسام مجهولة الهوية ، تأتي من كواكب أخرى ..

ولكن أهي صغيرة الحجم إلى هذا الحد ؟ ..

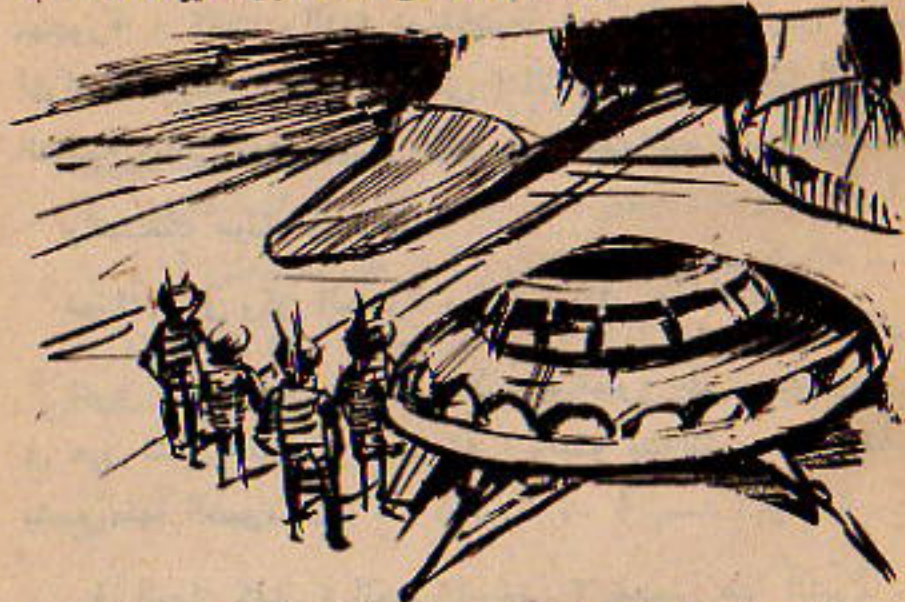
وفجأة برزت أمامه تلك العيون الصغيرة ..

وتراجع (رفقى) في ذعر ..

واتسعت عيناه في ذهول ..

كانت أمامه ثلاثة مخلوقات صغيرة ، تشبه البشر في

تكوينها ، فيها عدا ان حجم الراس كان اكبر كثيرا من نسبة



حجم رأس البشر إلى اجسادهم ، وكانت العيون واسعة كبيرة ..

وفيهما عدا ان هذه المخلوقات كانت في حجم الفران .. مخلوقات صغيرة للغاية ، يتناسب حجمها مع حجم طبقتها الطائر ..

ورفع احد هذه المخلوقات بندقيته نحو (رفقى) ، الذى تراجع هاتقا في زعر :

— لا .. ليس مرة ثانية .

كان يتوقع ان تنطلق الأشعة نحوه ، ولكن المخلوق الثانى أمسك يد رفيقه ، وتحدث إليه بلغة عجيبة ، فخفض بندقيته في طاعة ، مما جعل (رفقى) يتنهد قائلا :

— آه .. شكرا لك .

أدهشة ان اجابه المخلوق الصغير ، بلغة عربية سليمة :

— إننا لم نقصد أبدا الإساءة إليك .

هتت في دهشة :

— هل تتحدث العربية ؟

اجابه المخلوق بصوته الخافت :

— إننا نتحدث سبعا من لغات كوكبك ، فنحن نراقبكم منذ

زمن طويل ، ونقوم برحلات دورية إلى هنا ، ولكن مركبتنا

اصيبت بعطب هذه المرة ، واضطررنا للهبوط بها على سطح

منزلك ، وكان هذا من حسن حظنا في الواقع ، فلقد وجدنا

لديك كل ما نحتاج إليه لإصلاح مركبتنا ، ولكن ..

سأله (رفقى) في اهتمام :

— ولكن ماذا ؟

تنهد المخلوق ، وقال :

— يبدو أننا لا نمتلك الخبرة الكافية ، فكلنا رجال قضاء ،

وليس بيننا فنى واحد ، ولو لم ننجح في إصلاح مركبتنا ، قبل

شروق شمس الغد ، فلن يمكننا اللحاق بالسفينة الأم أبدا .

تأمل (رفقى) الطبق الطائر الصغير ، وسأل في اهتمام :

— هل يمكننى المحاولة ؟

تطلع الثلاثة بعضهم إلى البعض في دهشة ، ثم غمغم

الاول ، الذى بدا وكأنه اكبرهم رتبة :

— هذه الأجهزة متطورة للغاية عن عالمكم ، ولكن ..

صمت لحظات ، وكأنه يدرس الأمر في عقله ، ثم هز كتفيه ، قائلا :

— ولم لا .. إنك خبير بالأجهزة الدقيقة ، وليس لدينا ما نفقده .

تهللت أسارير (رفقى) ، وهتف :

— شكرا لك .. شكرا لك .

اندفع إلى معمله كالصاروخ ، وعاد منه يحمل مصباحا ضوئيا كبيرا ، وكل أدواته الدقيقة ..

وطوال خمس ساعات كاملة ، راحت أصابعه الخبيرة توصل بعض الأسلاك البالغة الدقة ، وتضيف بلورة طاقة هنا ، وتبدل أخرى هناك ، وتختبر ثلاثة بينهما ..

ومع نسمات الفجر الأولى ، كان قد انتهى من عمله .. ونجح ..

وهتف المخلوق الفضائي في سعادة :

— أنت عبقرى أيها الأرضى .. عبقرى بحق .

ثم أخرج من الطبق الطائر درعا ، ناوله إلى (رفقى) ، مستطردا :

— كنا نتمنى أن نهدى إليك هدية عظيمة ، ولكنى لا أملك هنا سوى هذا الدرع ، الذى يحمل شعار كوكبنا ، وأنا أهديه إليك ، رمز الصداقة بيننا .

التقط (رفقى) الدرع بسبابته وإبهامه ، وابتسم قائلا :

— يكفينى وصفك إياى بأننى عبقرى .

ابتسم له المخلوق ، وقال :

— هذه حقيقتك .. معذرة أيها الأرضى .. سنضطر لفارقتك الآن ، حتى يمكننا اللحاق بسفينتنا الأم .

سأله (رفقى) فى لهفة :

— هل ستعودون ؟

هز المخلوق رأسه ، وقال :

— من يدري ؟ ربما .

لوح لهم (رفقى) بكفه ، وهم يستقلون مركبتهم ، وتراجع والمركبة تنطلق ، عبر الجزء المهدم من السقف ، وتبتعد بسرعة خرافية ، وغمغم :

— إلى اللقاء .

ثم ابتسم مستطردا :

— أيها الفران .

« استيقظ يا (رفقى) .. »

فتح (رفقى) عينيه ، على صوت زوجته ، وتطلع إليها فى حيرة ، قائلا :

— ماذا هناك ؟

ابتسمت قائلة :

— يخيل إلى أنه كابوس ، فقد كنت تردد عبارة واحدة

فى نومك .

سألها في دهشة :

— اية عبارة ؟

قلدت صوته وهي تبتمس ، قائلة :

— إلى اللقاء أيها الفئران .. إلى اللقاء أيها الفئران .

حدق في وجهها بدهشة وأسف ..

إذن فكل هذا مجرد حلم !! ..

حلم صنعه عقله الباطن ، لمواجهة هذا الفار ، الذي تسلل

إلى معمله !! ..

شعر بأسف حقيقي ؛ لأن كل هذا لم يحدث بالفعل ، وآلمه

ذلك الصداع ، الذي يكتنف رأسه ، فجلس على فراشه ،

وقال لزوجته في ضيق :

— حسنا .. لا داعي للسخرية من مجرد حلم .. أريد

فنجانا من القهوة .

انحنيت أمامه في مرح ، وهي تقول :

— كما يأمر مولاي .

سألها وهي تغادر الحجرة إلى المطبخ .

— أين أقراص معالجة الصداع ؟

أجابته في مرح :

— إلى جوار الفراش كالمعتاد يا ملك الصداع .

مد يده يلتقط واحدا من أقراص معالجة الصداع ، ثم تجمدت

أصابعه ، وهو يحدق في ذلك الشيء ، الذي يستقر إلى جوار

شريط الأقراص ..

كن درعا صغيرا ، يحمل شعارا لا ينتمى إلى كوكبنا ..

شعار الفئران ..

[تمت بحمد الله]